أشهر المحاكمات السياسية في العراق الحديث

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2489) السنة التاسعة
الاثنين (21) أيار 2012

8

المقاهي والكازينوات في الموصل بين 1930-1980م

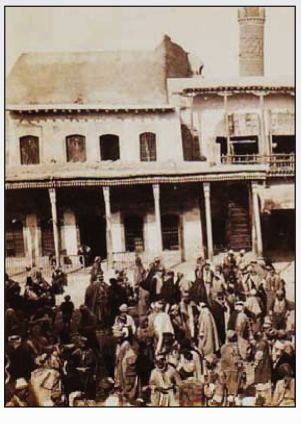

مـن ادب الـذكـريـات والاعـتـرافـات

عبد المجيد لطفي كما عرفته..

وحيد الدين بهاء الدين
اديب وكاتب عراقي

في استهلال احتضاني دنيا الادب انوارا وظلالا: كنت اكتب الى ادباء وشعراء متميزين من العراق والوطن العربي، استيحاء لنصائحهم في التوجه الفكري الذي اخترته بارادتي، واستشراقا لمواقفهم من بعض قضايا التراث والتيارات المعاصرة. كان عبد المجيد لطفي واحدا منهم فاذا هو يرد عليّ موسعا لي ثم محرضا اياي على متابعة الدرب اختيارا لا اضطراراً. وطرح التشاؤم من حضوري وقد كنت انوء تحت عينه يومذاك يقول: "قبل ايام اخذت منك رسالة كريمة فائضة بكثير من عواطف المودة وروح الادب والشكوى من فقدان التشجيع وما الى ذلك من اسباب تجعل عمل الادباء في غاية من الصعوبة وعندي انه لا تجدي الشكوى بالشباب من الادباء فالفشل سماد النجاح كما يقولون والى جانب ذلك فالشجرة القديرة تشق جذورها الصخور وتعيش رغم كل معاندة الطبيعة ولونها". ثم يستطرد: "فارجو ان تكون بخير دائم وصحة وان تتابع وزملاءك طريق الادب الحق وان تكون لكم وجهة نظر تهدف خدمة الانسانية ومثلها الرفيعة في الحال والمستقبل".

من هنا وبباعث من اهتماماتي الجديدة كنت اطالع كل مطبوع عراقي وعربي يرد مدينة كركوك، ناهيك بما كان ينشره عبدالمجيد لطفي من موضوعات هنا وهناك، ولا سيما حقله المعتاد على صدر عدد "الهاتف" الادبي الاسبوعي.

في شباط عام ١٩٥٢ انتهزت فرصة وجودي ببغداد لاعود صديقي الاديب غائب طعمة فرمان، وكان راقدا بمستشفى الامراض الصدرية بالتويثة لانهي الى عبد المجيد لطفي ما كان يعانيه صديقنا المناضل بفكره وروحه، فاذا به يجرد قلمه السيال فيدبج خاطرة وجدانية من خواطره الاسبوعية عنوانها "ضريبة النبوغ" مختصرا لصديقنا المعلول ومطالبا ذوي الشأن واولي الامر بالتفات اليه والعطف عليه ناسيا بالامم الناهضة التي تقدر ادباءها وعظماءها الذين هم مشاعل على طريق الحياة والثقافة والفن.

قضت الايام ان انهض بمهمة تحرير جريدة "كركوك" في مطالع الخمسينيات ثم اقرر بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك اصدار عدد خاص به، استكتبت بعضا من العلماء والكتاب منهم الشيخ محمد بهجت الاثري والحاج حمدي الاعظمي والدكتور تقي الدين الهلالي، وعبد المجيد لطفي، هذا الذي ما لبث ان وافاني جوابه الصاعق، شرفتني قبل ايام برسالة كريمة منك، وطلبت، متفضلا، ان ابعث شيئا الى جريدة "كركوك" التي وصلني عدد منها دل ما فيها على ذوقك الى حد كبير وخصصت الطلب ان يكون عن رمضان.. ولو ان مثل هذا الطلب وقع علي قبل عشرين سنة لكنت من اول المهللين والمرحبين والمصفقين اما الان وقد انحدرت الى ما يدعى مهاوية الضلال فلم تبق لي رغبة في المشاركة بمثل هذه الامور".

ولكن معرفة عبد المجيد لطفي للغة التركية وتاثره بادبها ثم رغبته في المشاركة في تحرير جريدة "كركوك" الصادرة باللغتين العربية والتركمانية، جعلتاه يحبر بعض الخواطر الادبية باللغة التركمانية ويبعث بها الي لنشرها في القسم المخصص من جريدتنا، ويقترح في الوقت نفسه، ان اتولى ترجمتها الى اللغة العربية اذا نسبت واذا كانت جديرة بذلك.

نشرنا خواطره، مقدرين معتزين وقدمنا لها بديباجة جميلة..

ولكن يكشف عبد المجيد لطفي عن طاقاته المخزونة وعن تضلعه من اللغة التركية على نحو اشمل، عمد الى اقصوصة "فور فونج بركون" المنشورة على صفحات جريدة "كركوك" لاغا اوغلو فهمي، فترجمها الى اللغة العربية بعنوان "يوم مخيف" ونشرها على صفحات مجلة "الاتحاد النسائي العراقي" – انظر العدد ٥٧ لعام ١٩٥٣ – ثم مصادفة طريفة بعدها بثلاثة عقود من الزمن، ان تطالعني اقصوصة "الوند ايـر ماغندان بـر افسانـه" لعبد المجيد لطفي وترجمتها "اسطورة من نهر الوند" وهي منشورة على صفحات مجلة "صوت الاتحاد" الصادرة من المكتب الثقافي التركماني للاتحاد العام للادباء والكتاب في القطر العراقي .

كان الادب العراقي في بدايات الخمسينات – ولا سيما النقد – يمر بمحنة حادة من جراء تلبد الغيوم الثقال في سماء البلاد مما كان له اثره في الوجود السياسي والاقتصادي والثقافي اتذكر اني كنتبت مقالا مكثفا في جريدة "كركوك" عن اساليب النقد الادبي عندنا، ثم لم اتردد فيه ان استدرج صديقي عبد المجيد لطفي ومشكور الاسدي ان يدليا بارائهما بهذا الصدد. في الوقت الذي علق مشكور الاسدي بما رام في حقله المسمى "خواطر" على صفحات جريدة "الاخبار" البغدادية.

جابهني عبد المجيد لطفي بتعقيبه عبر رسالة جاء بها. "اما النقد عندنا فمجرد شتم واقوال غليظة بعضها غير اخلاقي ومن الصعب ان تحصل على نقاد من ذوي الوزن والقيمة ونحن بعد في باكورة هذه النهضة الادبية. ومع ان النظرية الصحيحة في النقد ان الناقد يدرس ويمعن النظر والتامل ثم يظهر المحاسن والمساوئ بعيدا عن الكاتب والمؤلف فان هناك نظرية اخرى تقول ان الاثر جزء من المؤثر وعليه فان النقد يجب الا يتناول الكتاب وحده بل يتناول الكاتب كذلك لانه وليد مزاجه واخلاقه وتصرفاته ومطامحه ومن هنا كان الكاتب يحاسب الى درجة مفزعة عن هفواته ودعواته التي لا يطيقها المجتمع بحجم تطوره البطيء والاديب

كان الادب العراقي في بدايات الخمسينات – ولا سيما النقد – يمر بمحنة حادة من جراء تلبد الغيوم الثقال في سماء البلاد مما كان له اثره في الوجود السياسي والاقتصادي والثقافي اتذكر اني كنتبت مقالا مكثفا في جريدة "كركوك" عن اساليب النقد الادبي عندنا، ثم لم اتردد فيه ان استدرج صديقي عبد المجيد لطفي ومشكور الاسدي ان يدليا بارائهما بهذا الصدد. في الوقت الذي علق مشكور الاسدي بما رام في حقله المسمى "خواطر" على صفحات جريدة "الاخبار" البغدادية.

سباق دوما في سيره عن سير المجتمع. فلا تعجب حين ناخذ عامدين او غير عامدين بالنظرية الاخيرة في محاولاتنا في النقد، فنتناول الكاتب وحياته ومعيشته وكيف كان وكيف صار ونسبه ونلعنه ونجرده من كل حسنة واذا كان العالم الغربي غير خال من هذه المساوئ وفي اكبر برلمانات الغرب تدور مناقشات تنحط الى اوطأ درجات السباب وادب البرلمانات ادب مهم لانه يتناول اكثر نواحي المجتمع وما يهم الجماهير، وانني – انا نفسي ايضا اسير في هذه الطريق على ما فيها من تعسف وجور للحقيقة ذلك اني انهج نهج خصومي في نقدهم، اياي وما داموا يسبون فلا بد من سبهم وتجريدهم من فضائلهم.. وهذا المقياس وان كان غير اصولي الى حد ما الا انه تجاوب عاطفي للتأثيرات التي تاتي من قبل ذلك النقد".

في اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينات عرفت بغداد كاتبة قيل انها "دعية" وان شئت فقل محسوبة على الادب. فقد كنت على صلات ادبية ببعض من الشعراء والكتاب والصحفيين، وكانوا يقفون معها او وراءها ترويجا لبضاعتها واعلاما لحضورها في الوسط الثقافي العام..

ادركني ان عبد المجيد لطفي وهذه الكاتبة قد جمع بينهما سبب الادب كانا يتطارحان الفكرة او الطرفة يتشاوران في الامر والرأي.. وما الى ذلك او ما يعزز ذلك.

وسألت عبد المجيد لطفي وما بيننا يعطيني حق السؤال، وقد كثر الكلام وانبرى الخصام حول ما تكتبه هذه الكاتبة.. صدر لها كتابان، فاجابني عما اردت، بصراحته المعهودة قائلا.. ان في حياة كل اديب وكل فنان كما تعلم يا صديقي طائفة من النساء، تخبوا واحدة لتشرق الاخرى وهكذا دائما لان المراة ينبوع فياض للانتاج وتحريك العواطف وما المرأة التي ذكرت غير واحدة.. دخلت من باب وخرت من باب تركت تموجات ضاعت في الساحل.. وهذا هو شأن الحياة فلا تأسف ولا تتعمق في البحث عن امر امرأة كواحدة من عشرات النساء اللواتي لهن رغبة في التعرف على الرجال والتجول في ميادين الادب.

كان عبد المجيد لطفي كاتبا صادقا وجريئاً في انتاجه الادبي والقصصي، كذلك كان في كتاباته الصحفية والسياسية . والحق انه كان ينتقد العهد الملكي المندثر بكل ما استطاع الى ذلك سبيلا، وفي اخر الشوط – وان لم ينهزم – اعتزل محتدا ومدركا ان لاجدوى من هذا الذي صنع ويصنعه الاخرون معه وموقنا ان وراء الغيوم شمسا وان بعد العسر يسرا.. من هنا كتب يقول: اما انا فرجل قد انتهى دوره وانزوى وارتضى بما كتب حتى الان وان كل سعادته هو ان يرى مواهب جديدة تسطع في سماء ادبنا الجديد. لقد مشت القافلة وكنت معها في الصحراء فلما بلغت الواحة النضرة سقطت من الاعياء ولم اعد اتطلع الى افاق جديدة.

استمرت حالة – ولا اقول ظاهرة – الاعتزال عند عبد المجيد لطفي الى ما بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، ولا اتناسى اني وكنت حينذاك اعمل محررا في جريدة "البشير" هذه التي بدأت تصدر بكركوك استدرجته لان يعاود الكتابة ويمارس، فنونها على قدر مستوفرا رواقده وكل شيء قد تغير وتطور فما كان منا وقد حفزه ندائي اليه وعتابي عليه ام لقائي الشخصي به بوزارة المالية اذ كان بها رئيسا للملاحظين او مميزا على لغة ذلك العهد – الا ان يسوق الى القراء مقالة هي قطعة ادبية رائعة نشرتها على صفحات جريدتنا اقتطف منها بعض الشيء. (وحيد الدين) بهاء الدين من الاصدقاء القدماء تصلني به وشجة الادب واكثر من منزع من منازع الحصوى والحياة. وحين طلب الي ان اكتب شيئا لجريدة "البشير" تريثت وحاولت الاعتذار، ذلك اني متعب في هذه الايام ومريض وان الادب وان كان صدى لما يزدحم في صدر الاديب من مشاعر الا ان بعض الهموم تسد على الاديب مسالك تفكيره فلا يستطيع حتى التعبير عن شجونه.. ولكن وحيد الدين حين يكون كاتبا ولودا منتجا مرتاح الخاطر يحسب الناس جميعا مثله.

فلم يكن امامي من طريق للاعتذار والى جانب ذلك فانا نفسي احب هذه الجريدة لانها تصدر بكركوك وقد استأثرت كركوك شطرا طويلا من شبابي حتى كدت احسب من ابنائها ولفترة طويلة كان النفس في بغداد لا يعرفونني اذ لم يعرف اسمي بكركوك. وفي كركوك ايضا تفتح قلبي لاول مرة للحب.. انني في الحقيقة لفي حيرة من امري ومن امر الادب فان مشاكلي من العمق بحيث تلقي لي قشة مبللة في اجاج من المحن والشظف والهموم والادب يريد العمق والابائية بصراحة وحرية ثم يريد ان ياكل الاديب نفسه من اطرافه، يريد ان يحرقه وقد احترقت في لهيب الادب بما فيه الكفاية ولكن بعض كرام الاصدقاء والقلائل من القراء الذين احتجبت عنهم لا يريدون راحة الاديب ولا اية محاولة من جانبه او جانبهم للتخفيف من حرفته او من الحريق الذي ياكله. وبعد فالمعذرة من قرائي فيما مضى من اصدقائي الكرام وفيهم.. وحيد الدين.. فهذا اعتراف، واذا كان في توقفي عن الكتابة من اساءة فما سيئ من اعتذر.

الا ان عبد المجيد لطفي وان اعتذر بحجة مشروعة او غير مشروعة عن معاودة الكتابة ومواصلة الاسهام في الحركة الفكرية الجديدة التي افرزتها الثورة؟ فانما عاد بعد ذلك بقليل عودا احمدا. مطلا على القراء اطلالة منتظرة او غير منتظرة، ولكل حادث حديث.

كنت ازور عبد المجيد لطفي بوزارة المالية زيارات خاطفة يوم كنت احضر من كركوك لقضاء مهماتي ويوم ضمتني بغداد الى صدرها الحنون الدافئ كنت ازوره ومعي اكثر الاحايين صديقي العتيق المعتق الدكتور صفاء خلوصي وهو ابن اخيه، بدارته بالمامون ولا اتغابى عن زيارتنا لدارته السابقة بالعيواضية في ذلك المساء الشتوي المسربل بالغيوم والوجوم من اماسي الخمسينات.

وبصدر كتابي شخصيات من الادب المعاصر واحمل منه نسخة هدية الى عبد المجيد لطفي فاذا هو يقابلني بالشكران وبتحية كريمة تمثلت في بعض من مزاحاته ثم ما اروع ما ساقه الى من نظرات بصدر كتابي صريحا على جاري عادته وقد انتهيت الليلة الماضية من قراءة هذا الكتا الطيب الذي تضمن دراسة مشيدة بعدد من الشخصيات الادبية والفكرية ذات مكان ومكانة في حياة الفكر العربي والادب العربي من شعر ونثر. وقد افدت فائدة كبيرة من هذه القراءة اذ احطتني بجديد منوع عن هؤلاء الذين تناولتهم بالدرس والاهتمام والملاحظة الدقيقة والاشادة في اكثر المواضيع وبصدد الجهد فشيء مشكور، عناء في سبيل الادب دون مثوبة مادية وهذا حظنا جميعا حين نكتب الادب ونمارسه بنظافة وعفة بيان؟ وتاريخية عادلة.

اخذتنا الايام والاعوام. فكنا نتلاقى خلالها في مناسبات او حفلات او ما الى ذلك ذات ضحى كنت اقطع شارعا فرعيا بالاعظمية، واحسست ان صوتا خفيفا من داخل سيارة لازوردية يناديني! فاذا انا وعبد المجيد ناصر وجها لوجه، فتتهاوى الصور والذكريات ونتساى كؤوسا روية من النجوى والسلوى.

ويرحل عبد المجيد لطفي وفيه شيئاً بل اشياء.

جريدة الاتحاد 1986

طرائف مجهولة عن الشاعر الزهاوي

عبد الله الحسني

اشتهرَ الشاعر العراقي الخالد جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦) بطرائف نادرة، وجوانب تدعو للاستغراب، حري بنا تتبعها ونشرها لانها تسلط الاضواء على هذه الشخصية وتفصح عن معالمها غير المعروفة. – من ذلك:

اعتاد الزهاوي ان ياخذ من زوجته السيدة زكية هانم صباح كل يوم (يومية) قبل ان يذهب الى المقهى التي تحمل اسمه حتى اليوم في شارع الرشيد ببغداد. كان الزهاوي يحرص على ان تكون (اليومية) (خردة) تضعها له السيدة هانم في كيس صغير ليسهل عليه توزيع (اَناتها) (المفردة: اَنة) ثمناً لما يشربه تلاميذه من محبي شعره الذين يلتفون حوله في المقهى.. وبذلك كان الزهاوي واحداً من اشهر العراقيين بـ(الوير) فالوير عادة شعبية عراقية وهي ان يقوم المتقدم في الحضور الى المقهى او المطعم بدفع ثمن الشاي للذي يجيء متأخراً والغاية من ذلك اظهار الكرم وتقوية اواصر المحبة..

وكلمة (وير) مشتقة من لفظة (فرمك) بمعنى اعط، ادفع، كما ورد في (معجم الالفاظ الدخيلة فِي اللهجة العراقية الدارجة) للاستاذ رفعت رؤوف البزركان.

– ومن الطرائف الزهاوية الاخرى، ولع الشاعر بجمع اصناف مختلفة من اقلام (الباندان) فاذا بلغه وصول نوع جديد منها اسرع الى زكية هانم يطلب اليها ان تعطيه مبلغاً من المال لشراء ذلك القلم الجديد.

وحدث ذات مرة ان ترددت زكية هانم عن دفع المبلغ له، فشخر ونخر وسب الشمس والقمر، وطفق يصرخ ويبكي كالطفل الذي يريد لعبة جديدة له، وامه تمانع! (الراوي: خيري العمري).

– وقد يعمد الزهاوي عندما يغضب على زوجته الى المقص، فيعمل في ملابسها وفساتينها قصاً وشقاً، لكنه لايلبث ان يندم اشد الندم.

فيرتقي دولاب الملابس حيث يجلس وهو يجهش بالبكاء ثم يعتذر للهانم!

وينقل لنا المرحوم خيري العمري حقيقة اخرى طريفة عن الزهاوي فيقول: ان الزهاوي كان يضيق ذرعاً بالحمام ويتهرب من الاستحمام، وبذلك يسبب لزوجته مضايقات تضطرها الى ملاحقته واتخاذ كل الوسائل لاقناعه بالاستحمام ولا تتوصل الى ذلك الا بعد مفاوضات طويلة، يشترط فيها هو ان لا يتسرب الماء والصابون الى عينيه، وان تفتح ابواب الشبابيك ليتسرب البخار الى الخارج واذا اتفق ان البخار تكاثر او نفذ الصابون والماء الى عينيه ارتفع صوته يستغيث بالناس ان ينقذوه من الاختناق!

– والطريف ان الزهاوي –كما ذكرت السيدة عائدة عبد المحسن السعدون– كان يتبع نظاماً خاصاً في الاكل فكان يحرص على ان يتناول لوناً معيناً من الطعام مدة من الزمن لا يذوق سواه من الاطعمة الاخرى، حتى اذا انقضت تلك المدة انتقل الى صنف اخر من الطعام كأن يكون هذا الشهر للباذنجان والشهر الاتي للباميا والشهر اللاحق للشجر وهلمّ جرة، – يقال ان الزهاوي غضب يوماً على هرة، لانها افترست عصفوراً عني في تربيته فامر خادمه ان يقتلها عقاباً على ما جنته بعد ان حاكمها محاكمة عادلة.

– ومن طرائف الطعام ايضا :

جلس الشاعران الزهاوي والرصافي يأكلان ثريدا فوقه دجاجة محمرة وبعد قليل مالت الدجاجة ناحية الزهاوي فقال:

عرف الخير أهله فتقدم ... فأجابه الرصافي:

كثر النبش تحته فتهدم!!!

بـــغـــداد بـــيـــن الـــمـــاضـــي والـــحـــاضـــر

مقهى الرشيد (البرلمان)

في بغداد والكاظمية مقاه كثيرة لم يبق منها الان الا القليل وكان بعض تلك المقاهي مثابة للشعراء والادباء والصحافيين، اذكر منها المقهى الصيفي الذي يقع عند الجسر القديم من جهة الكاظمية وكان من ابرز رواده الشاعر الكبير معروف الرصافي حين كان يجمع اوراق شيخوخته ليعلن الرحيل. فقد كنا نشاهده في سنة 1944م عند الغروب وهو يعبر الجسر مشيا من الاعظمية حتى يصل فيستقر على تخت وحده وقد ارتدى العباءة الصيفية واعتمر الكوفية البيضاء والعقال، وقد نجلس اليه – بعد الاستئذان – ونساله عن شؤون الادب والشعر فيجيب بايجاز. ولقد كان في جلسته وحديثه وضخامة تاريخه الادبي يفرض علينا ان نهابه ونحترمه.

ابراهيم الوائلي
اديب ولغوي راحل

ومن رواد ذلك المقهى الكاتب الصحافي الراحل يوسف رجيب، واخرون ، ولازلت اذكر لحظة اهتزاز الشجر من حولنا والكراسي تحتنا بسبب هزة حدثت للارض في صيف سنة ١٩٤٦م وكنا جالسين في ذلك المقهى نستمتع بشاطئ دجلة.

وفي الكرخ مقهى البيروتي وهو يطل على دجلة عند الجسر وقد انتهى وهدم ودخل في الساحة الكبيرة وكان من رواده بعض الادباء والمحامين اذكر منهم الشاعر محمد الهاشمي والشاعر الصديق عبد الحسين الملا احمد والمحامي الكاتب توفيق الفكيكي وكلهم ودعوا الحياة ومقهى الحاج خليل القيسي وهو يطل على شارع الرشيد قبالة شارع المتنبي وكان من رواد هذا المقهى الشاعر الراحل جميل احمد الكاظمي والشاعر كمال نصرة وغيرهما من الادباء وكان صاحبه الحاج خليل يرحب بالقادمين ويعنى بهم.

ونترك مقهى الزهاوي ومقهى حسن عجمي ومقهى البلدية ومقهى الدفاع وغيرها في الرصافة، ومقاهي الكرخ والصالحية فالحديث عن هذه يطول ولكننا نقتصر الحديث على مقهى (البرلمان) او (مقهى الرشيد) كما سمي بعد ذلك، وهذا المقهى يقع في شارع الرشيد قبالة جامع الحيدر خانة وقد عمر اكثر من اربعة عقود فقد افتتح في اوائل الحرب الثانية واغلق قبل سنوات.

وقد انشاه الحاج حسين فخر الدين وهيأ له من اسباب الراحة والتسلية ما ينبغي ان يكون وفرش تخوته بالسجاد ليدرأ به برد الشتاء وجمع فيه النرد والشطرنج والدومنة الى جانب الشاي والقهوة والبوارد، واذكر اني دخلت هذا المقهى اول مرة في خريف سنة ١٩٤٠م وكنت ازور بغداد ثالث زيارة فرأيته على سعته مزدحما بالرواد وبخاصة يوم الجمعة، وقد اعتاد القادمون من النجف ومدن الفرات الاوسط ان يلتقوا فيه ولاسيما الشيوخ والنواب والتجار والادباء. وكان صاحبه الحاج حسين فخر الدين، وهو من اسرة نجفية معروفة – على صلة بهؤلاء القادمين فقد كان ينظر اليه بوصفه من الوجهاء لا بوصفه صاحب مقهى.

وكنت ارى في هذا المقهى وجوها كثيرة من انحاء العراق فهذا احد ابناء الشيخ شعلان ابو الجون وذاك السيد كامل ابو طبيخ بوجهه الصبوح وثيابه الجميلة، وبالقرب منا صديقنا الراحل عزيز الظالمي بعباءته وكوفيته البيضاء. وذاك صديقنا الراحل جعفر الاعسم جاء لبعض اشغاله وقد يبتسم حين تستيد الى الذاكرة نبا اعتقالنا في النجف وقد وجهت الينا تهمة تحريض العشائر على الثورة وفي مقدمتنا الشاعر محمد صالح بحر العلوم، وهذا الصحافي الاديب جعفر الخليلي – يعتمر الصدارة –

وقد جاء من النجف يبحث عن ورق لجريدة "الهاتف".

وذاك "نائب" جاء ليعلن عن فوزه في كرسي النيابة، وصوت النرد والدومنة يملأ الاذن قبل صوت المتحدث القريب الا حين تذاع اخبار الحرب وقد تلوح البهجة على الوجوه حين يذاع نبأ عن انتصار دول المحور فقد كان العراقيون يكرهون الانكليز ويتمنون هزيمتهم في الحرب ماعدا الضالعين معهم.

والصديق الراحل الشيخ عبد الباقي العاني امام جامع العاقولية بعمته وجبته جاء يريد قصيدة لمجلة "الناشئة الاسلامية" ولابأس من التسلية بلعبة النرد فقد كان يتجدر فيها.

وكذلك الكاتب الاديب سليم طه التكريتي وهو يبتسم بعد ان تكون مواد جريدة "الرأي العام" قد صارت الى المطبعة والشاعر محمد صالح بحر العلوم يجلس الى نفر من الشباب وعيناه تتحديان القادمين والذاهبين. وكان يكره الانكليز والالمان على السواء وربما كان له عذر في ذلك فالانكليز يحتلون العراق والالمان اعلنوا الحرب على الاتحاد السوفيتي.

وقد يكون من الرواد صديقنا المؤرخ الراحل السيد محمد علي كمال الدين وقد اعتمر الصدارة التي كانت شائعة انذاك ويده تداعب خرز السبحة، وقد نرى الشاعر الراحل عبد الرزاق محيي الدين يجلس بالقرب من صاحب المقهى ومعه الاديب الراحل عبد الكريم الدجيلي.

وفي مكان قريب يجلس الكاتب يوسف رجيب ودخان "النرجيلة" يملأ رئتيه ولعبة النرد تستبد بوقته ويتكيء الى النافذة الاديب عبد الحميد الدجيلي ولعله يفكر في اللغة والنحو، وكانت على الجدار صورتان وفي اول مايس من سنة ١٩٤١ تغيرت احداهما وانتهى شهر مايس فعادت القديمة الى مكانها وطويت الصورة الطارئة، وقلت للحاج حسين احتفظ بالاطار فقد تتغير الصورة مرة اخرى، فقال: وما يدريك فقد تتغير الصورتان معا.

نحن في اوائل العقد السادس من هذا القرن والمقهى مازال مزدحما بالمرتادين والحاج حسين يجلس الى صندوقه عند الباب، والكهل الطيب (وهل) يفترش الرصيف قرب باب المقهى وقد نشر الصحف والمجلات وهو في كل صباح ومساء يطوف داخل المقهى ويوزع الصحف على الراغبين في قراءتها ويأخذ من كل واحد اجرا لايتجاوز عشرة فلوس.

انتقل بعضهم الى مقاه اخر، وبقي رواد الشطرنج والنرد والنرجيلة واصدقاء مازالوا يبتردون صيفا او يستدفئون شتاء في اوقات الراحة ومنهم خاشع الراوي وفؤاد عباس والمحامي محمد نجيب الجبوري وعبد القادر رشيد الناصري وهؤلاء الادباء الشعراء ودعوا الدنيا الى ظلام القبور.

ولكنني مازلت ارى الشاعر شفيق القيماقجي ياخذ مكانه الى جانب خضر العباسي، وقد يرتاد المقهى الصحافي المتنوع عبد القادر البراك فينتحي جانبا مع عشيقته (النرجيلة) وهو يحيي عارفيه بابتسام وتواضع.

والشاعر بلند الحيدري يسلم ويجلس وهو يمزج الضحكة الخفيفة بالانفعال والتذمر من فراغ الجيب ولكنه لاينسى الحديث في الشعر واللغة ونجله كان يرافقني في الرأي ان الشاعر بلا لغة كالجندي بلا سلاح. وكثيرا ما يدخل الشاب النحيل بدر شاكر السياب وهو يتهادى في مشيته ويتابط كتابا فيجلس ويشارك في الحديث.

وفي مقعد قريب يجلس الشاعر حسين مردان والسيجارة لاتفارق شفتيه واحاديثه في الشعر والنقد.

والشيخ علي البازي شاعر المؤرخين جاء من الكوفة ليجدد العهد ببغداد وقد جلس و(النرجيلة) الى جواره.

والشاب المسكين الذي وعده المرشح ان يجد له عملا بعد الفوز بكرسي النيابة ولكن ذلك المرشح لم يوف بوعده. قلت للشاب، لاباس فهذه رسالة الى صديق وجاء الشاب بعد اكثر من ساعة وهو مستبشر فقد وجد له الصديق عملا مناسبا.

نحن في سنة ١٩٥٩ م وهذا بدر شاكر السياب يخرج من المقهى وكنت قادما اليه فيسلم وقد امتص المرض دمه وزاده شحوبا على شحوب، قلت: الى اين بدر؟ فقال: لست ادري.. ولعله كان يعاني ازمة تصطرع في اعماقه فلا يدري الى اية جهة يصير وسألته.. مارأيك في اتحاد الادباء الجديد؟ فقال: لا ادري فقلت له: اتشارك فيه؟ فقال: ها.. لا ادري .. كان السياب يحب ان اتحدث اليه ويتحدث الي وفي تلك الاثناء طلبت منه ان يرافقني الى زيارة الصديق الاستاذ ذنون ايوب فاجاب طلبي بلا تردد وكنت اسعى الى ان يكون لبدر شان في اتحاد الادباء وذهبنا الى مكتب الاستاذ ذنون في "السراي" وكان اذ ذاك مديرا للرعاية وقبل ان يستقر بنا المكان قلت: يا ابا ثائر ها هو ذا بدر بجسمه النحيل وشاعريته الضخمة ورحب بنا الاستاذ ذنون وتمنى ان يحتل بدر مكانه في الاتحاد ولكن السياب كان ساكنا لايدري ما يقول سوى ابتسامة تعبر عن حيرة وشرود فكر. وافترقنا على غير ما اتفاق ثم غاب بدر وهو يصارع ازمته ومرضه واغتاله الموت بعيدا عن محبيه.

وفي السنين القريبة جاء شاب من النجف كان من المأمول ان يكون له شأن في دنيا الشعر وكنت استمع اليه وهو ينشدني قصائده الرقيقة ويسمع مني الاطراء والثناء ولكنه اخذ يرتاد مقهى الرشيد، وقد لعبت به الشمول، ولم ينفع معه النصح فمات وهو شاب، انه عبد الامير الحصيري، وثقلت رجلاي عن ارتياد مقهى الرشيد فصرت لا ازوره الا لماما بل لقد اثرت البعد عنه فكنت امر ولا اتلفت واذا تلفت فالمقاعد خالية من الاصدقاء الا القليل فقد انطفأت شموع وغابت كواكب واستبد التراب بالكثيرين.

وفي يوم من نهاية المطاف مررت مجتازا بباب المقهى فاذا شخص يسرع الى الخارج ويدعوني الى الجلوس انه الصديق الراحل المحامي محمود العبطة فلم يكن بد من الاستجابة لدعوته، ولقد كانت الزيارة هي زيارة الوداع للصديق العبطة وللمقهى الذي كان يصارع القدر في ساعة اختضاره.

لقد انتهى بانتهاء "مقهى الرشيد" ناد من اضخم النوادي الادبية في بغداد، وكل حي الى الفناء.

مجلة الف باء 1977

رغم كهولته ومرضه بـ (الربو) ظل فتيا!

عشق الشبيبي حال دون تبوئه منصبا سياسيا!

عبد القادر البراك
صحفي عراقي راحل

عرفت الشاعر العراقي الكبير الشيخ محمد باقر الشبيبي في الهزيع الاخير من عمره (الحافل) وخلال الايام التي كان يتردد على ادارة جريدة (الجبهة الشعبية) التي كان يكتب لها بعض المقالات العتيقة وتولى تلطيفها بعناية اخوه الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي لكي لا تعرضه لمتاعب هو في غنى عنها في وقت كان يعاني فيه من مرض الربو!

وبالرغم من تجاوزه الكهولة فان روح الفتوة والثورة كانت تستعر فيه، وكأنها ظلت ملازمة له، فقد عمل في صحافة الثورة العراقية الاولى وكان المعارض الناري الاسلوب في بعض المجالس النيابية التي مثل فيها (المنتفك) وكان من اشد مواقفه جراة تعرضه الى قيام الملك فيصل الاول رحمه الله، بالاشتراك في المفاوضات التي كانت تجري بين الوفدين العراقي والبريطاني بصدد المعاهدة حيث اعتبر هذه المشاركة مخالفة لنص الدستور (الملك مصون وغير مسؤول) وقد احرج بهجومه الوزارة التي كان بعض اقطابها من زعماء حزبه (حزب الشعب) فتولى الرد عليه رشيد عالي الكيلاني بما مؤداه ان من حق الملك كمواطن – على الاقل – الاشراف على المفاوضات!

ولقد آمن الشبيبي في مطلع عمله السياسي بزعامة ياسين الهاشمي، وبان زعامته (لحزب الشعب) ستحقق للعراق ما يتطلع اليه من استكمال لسيادته الوطنية واستقلاله الناجز، ولكن الهاشمي وامثاله من الساسة القياديين اخلفوا ظن الشبيبي لان هؤلاء الساسة لم يكن لهم ما يعرضونه سوى (الانتداب) فلما صيغت لهم معاهدة ١٩٣٠ بالشكل الذي اختفى وراءه الانتداب انصرفوا الى الزراعة والتجارة فكان ان تخلى الشبيبي عن تأييده لياسين بل هاجمه بعنف وندد برفائيل بطي الذي كان يزامله في تحرير جريدة الحزب (نداء الشعب) وفي تصحيح مقالات الهاشمي من اناحية اللغوية لانه – اي رفائيل – جعل من الزعيم الهاشمي (ابا روحيا) للشعب!

واذكر ان مقالات باقر الشبيبي الملتهبة وقصائده النارية وخطبه في البرلمان كانت من الادب السياسي الرفيع من حيث الاسلوب الخطابي البارع واللهجة الحارة والاشعاع الذي تعكسه في نفوس القراء والمستمعين. ويقال ان الشبيبي الصغير كان يعد خطبه البرلمانية قبل ان يلقيها لانه كان يغادر الجلسة بعد القائها لكي لا يضطر الى الرد على من يكون قد عقب على كلمته لانه لم يملك معارضة اخيه الكبير الذي يكون في خطابه – وهو غير متهيء له – ابرع منه خطيبا عندما يعد خطابه قبل وقت ارتجاله!.

وكان الشيخ الشبيبي بحكم تربيته الدينية يعتبر من المحافظين ولكنه كان يحرص على ان يكون عصريا فهو معجب كل الاعجاب بحزب الوفد المصري، وهو معجب بغناء ام كلثوم ومغرم بمواهب امينة رزق الممثلة البارعة الشهيرة وله قصائد في هؤلاء كانت موضع حديث المجالس في الاوساط الادبية والسياسية في بغداد والقاهرة فهو يستقبل ام كلثوم التي وفدت الى بغداد لاول مرة في الوقت الذي فصل فيه الوفد بعض كبار اقطابه فيقول:

عجبا ام كلثوم
من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفد
ومن ذا بيت الامرا؟!

ويقول في حفلة تكريمية لزكي مبارك، الاديب الذي انتدب للتدريس في دار المعلمين العالية.

وهيجني في الرستمية شاعر
به مثل ما بي من حنين ومن وجدي
هواه على اطراف دجلة والنهر
واما هوى قلبي فللنيل والوفد

وقوله:

صريع الغواني لا تلمني فانني
صريع اغاني ام كلثوم لادعد

الامر الذي حمل الدكتور زكي مبارك على كتابة مقال طريف بعنوان (ابو كلثوم) الوفدين!

وقد ضاق المسؤولون بعشق الشبيبي فحاولوا تجنيبه العمل السياسي عندما عينوه مفتشا للغة العربية في وزارة المعارف، ويظهر ان ارادة المسؤولين وارادة الشاعر اصطدمنا فلم بعض عليه زمن طويل في الوظيفة حتى الغيت وظيفته! وعاد الشبيبي بعد فترة صمت الى ممارسة الكتابة الصحفية فكتب عن حلف بغداد مقالا شهيرا بعنوان (حلف من نار) كان من اعنف ماوجه الى هذا الحلف من هجوم واعتقد ان هذا المقال هو الذي ازال يقين كبار المسؤولين بان الشيخ باقر الشبيبي لم يعد ذلك السياسي العنيف فقاوموه يوم رشح نفسه ضد عبد الكريم الازري الذي اريد له ان يكون نائبا عن الكرادة الشرقية بعد ان انتقل الشيخ محمد رضا الشبيبي الى مجلس الاعيان ولهذه القضية قصة سوف ياتي الحديث عنها.

الا ان الشيخ الشبيبي تصور ان الاخذ بالانتخاب المباشر هو السبب الذي سيحول دون فوزه فكتب مقالا في مهاجمة الانتخاب المذكور بمقال شديد اضطررت بحكم اندفاعي (الديمقراطي) يومذاك الى الرد عليه بشدة واشهد ان الشبيبي (الكبير والصغير) لم يظهرا اي عضب من شدة هذا المقال وتلك ماثرة احفظها لهما!

انثالت على الورق هذه الذكريات من الذاكرة الكليلة وانا اتصفح بعض الاوراق التي اهدانيها الصديق المرحوم د. عبدالمجيد القصاب قبل رحيله، وقد لفت نظري مما لم اكن اعرفه واتصوره ان ثمة علاقة صداقة بين الشبيبي والقصاب منذ سنة ١٩٣٠ وكانا يتبادلان الرسائل عندما كان القصاب يلتقي دروسه الطبية بجامعة باريس، وقد لفت نظري اكثر ان هذه الرسائل التي لم تنشر تصور الاوضاع السياسية في العراق خلال السنوات التي اعقبت معاهدة ١٩٣٠ باوصاف جديرة بان يقف عليها المعاصرون لما تكشفه من حقائق لم تكتب بالشكل الذي دونت فيه، ذلك ان الرسائل الخاصة تحتوي من المعلومات الموجودة لدى كاتبها ما لايمكم ادراجها في مقال او كتاب لان الكاتب في رسائله ينطلق اكثر من انطلاقه في الكتابة!

واعود الى الرسائل التي كتبها الشيخ باقر الشبيبي الى صديقه الدكتور القصاب فهي من الرسائل التاريخية التي تصور الاوضاع العامة في العراق يومذاك اصدق تصوير فقد ذكر في احدى رسائله يقول: (لقد كنت ولازال مشغولا بما يهمك ويعنيك من امر الوطن فمن عمل في ضواحي دجلة الى مثله ومن جولة في انحاء الفرات الى مثلها ومن امور الى امور نرجو ان تكون نتائجها طيبة وتأمل ان تكون الساعة مؤذنة بالفرج القريب!.

ويقول : بلادك يا عزيزي قائمة قاعدة احزابها ناشطة ونواديها عامرة وحكومتها المستبدة (حكومة نوري السعيد) لما تنفك ماضية في الخروج على الاعراف وهي حاقدة على الناس وقد تحرج الموقف ولاندري اتنفرج بالاصطدام ويقول في رسالة مؤرخة ١٩٣٣/٣/٢)..

اما اخبار الوطن فمن بواعث الاسف اصبحت لا تبشر بخير، وذلك لان الحكومة القائمة لاتزال على طغيانها في مكافحة الاحزاب الوطنية ومطاردتها الاحرار والتضييق على المواطنين والتنكر للرجال العاملين وقد بلغ الاستياء من الاستهانة بالمقدرات اقصى ما يتصوره الانسان ولكن المسؤولين على اشد مايكونون من العنت والارهاق والمراجع العالية – كما يسمونها – تستعذب هذه المآسي في سبيل شهواتها وغاياتها ويؤسفني ان اعلمك بان الرأي العام في بلادك لا يعول عليه في القيام بحركة وطنية واسعة النطاق والحركات التي تؤدي الى نتائج طيبة).

وفي رسائل اخرى وصف يكمل ما اوردته من المقتطفات التي اخترتها من رسائله ومثل هذه الرسائل المكتوبة من شهود عيان تعتبر من المراجع الهامة لكتابة التاريخ فعسى ان نجد في رسائل الشبيبي رحمه الله وغيره الكثير من امثالها ما يفيد المتصدين لكتابة تاريخ العراق السياسي الحديث.

جريدة البلد / اذار 1965

اثـر نـادر لـنـوري ثـابـت (حـبـزبـوز)

مـصـرع مـدحـت بـاشـا

نوري بك ثابت
حبزبوز

نوري بك ثابت، كاتب مشهور، ونقاد بارع، وهو الى الهزل في اسلوبه ابرع منه في جده، إلا انه لم يقصر له في الثاني باع، ولم يدانيه في الاول مدان، تجد في نقده التهكم اللاذع، والسخرية المرة، والسهام يصوبها الى نحر خصمه فيصرعه وينتصر عليه.
والموضوع الذي نقرا له اليوم مبحث تاريخي يهم العراقيين الاطلاع عليه، لما بين الماضي القريب، والزمن الحاضر من عبر وعظات.
لم يبق في العراق فرد يجهل هذا الاسم الجليل، اسم المرحوم (مدحت باشا) الذي لعب دورا هاما في اواخر تاريخ آل عثمان..

وللمرحوم في العراق من المآثر مالا تمحوه يد الزمان.. والحق ان وزارة المعارف العراقية ادت واجب عرفان الجميل في ادخال اسم هذا العظيم بين اسماء عظماء العرب والاسلام في منهج دراسة التاريخ للصفوف الاولية.. لذا انك ان سألت طفلا عراقيا عن هذا الاسم اجابك على الفور:
– نعم! اعرفه! انه مؤسس المدارس ودور الصناعة ومؤسس اول ترام بين الكاظمية وبغداد.. وباني المستشفيات.. وفاتح تجد.. الخ.
ولقد شاءت يد الغدر والخيانة ، يد الطاغية المستبد (عبد الحميد) ان يذهب هذا البطل ضحية الخوف الذي لا يفارق قلوب الظلمة والخونة.. فكمل انفاسه في زندان (الطائف) وذهب الى لقاء ربه وفي عنقه طوق ازرق من الدم المحصور.. لانه – رحمه الله – مات خنقا..
لا ايد ان اطيل البحث على القراء في تاريخ حياة المرحوم والكثير منا يعرفها.. ولكنني سابحث باختثار عن نشأته وتقلبه في المناصب المختلفة الى تاريخ استلامه زمام الامور في العراق، ثم اوجز الاسباب التي دعت الى نفيه الى الطائف ثم اصف كيفية اغتياله مع المرحوم محمود جلال الدين باشا.
نشأته:
ولد بطل مقالنا في الاستانة في شهر صفر الخير سنة ١٣٣٨ هـ واغتيل سنة ١٣٠١ هـ اذن فقد عاش ٦٣ سنة هي عدد السنين التي قضاها معظم اعاظم التاريخ الاسلامي (سيد الانام محمد (ص) ابو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، علي بن ابي طالب... الخ).
كان والد المرحوم احد القضاة واسمه (الحاج حافظ محمد اشرف افندي) ابن (الحاج علي افندي) من مدينة (روسجق) احدى مدن بلغاريا الان على الضفة اليمنى من نهر الدانوب. وكان اسمه الاصلي (احمد شفيق) ولما بلغ العاشرة من العمر وحفظ القرآن الكريم اصبح اسمه حسب العادة المتبعة (حافظ احمد شفيق).

ولقد ذهب المرحوم مع والده الذي عين قاضيا على مدينة (ويدين) ثم رجع منه الى الاستانة فتوسط له رئيس الكتاب (وزير الخارجية) عاكف باشا بالانتساب الى (الديوان الهمايوني) فتعلم (خط الديوان) واعطى له لقب (مدحت) فاصبح اسمه منذ ذاك التاريخ (احمد مدحت افندي).
وفي اثناء دوامه في (قلم الديوان الهمايوني) انكب على دراسة اللغة العربية والفارسية على يد اساتذة قديرين فاجادها وكذلك درس اللغة الافرنسية في هذه الاونة ولما كان المرحوم في حاجة الى العيش قبل التوظف، كانت اول وظيفة (كاتب تحرير) في مديرية تحرير ولاية الشام وذلك سنة ١٢٥٨ هـ براتب شهري قدره ٢٥٠٠ غرشاً اي ٢٥ ليرة عثمانية.
ثم انتقل الى عدة ولايات في مثل وظيفته (قرينة ، تسطموني) وفي سنة ١٢٦٤ هـ رجع الى الاستانة فتزوج فيها وهو بن ٢٦ سنة.
ثم تقلد عدة وظائف في (الباب العالي) كان اهمها وظيفة كتابة الضبط في مجالس الوزراء، ثم ارسل على رأس الهيئة الاصلاحية الى البلقان وكان يؤدب الاشقياء بنفسه ويتعقبهم في جبال البلقان الوعرة على رأس الجنود فتمكن بشجاعته وتدبيره من اخماد الثورات في البلقان، ذلك البلقان الذي يطلق عليه الاوربيون اسم (اترن اوربا).
ولما رجع الى وظائفه في الباب العالي احس بضرورة تعلم اللغة الافرنسية وكان يجهلها حتى التاسعة والثلاثين من عمره وكذلك كان جميع كتاب الباب العالي يجيدون اللغات الاجنبية حتى واقعة القرم واحتكاك الباب العالي بالدول المعظمة الاوربية.
وفي سنة ١٢٧٤ هـ استأذن من الصدر الاعظم عالي باشا السياحة الى اوروبا فاذن له فذهب الى اوروبا وزار امهات العواصم مثل لندن وباريس وبروكسل ومكث في اوروبا سنة شهور وقف في اثنائها على الحضارة الاوربية والنهضة الاخيرة، كما انه استفاد ايضا من ممارسة اللغات الاوربية واحتك باكثر رجال السياسة في اوربا ثم رجع الى الاستانة فعين رئيساً للكتاب في الديوان العالي.
وفي سنة ١٢٧٧ هـ نال رتبة الوزارة والباشوية وعين واليا على نيش (احدى مدن يوغو سلاويا في الوقت الحاضر).
وبعد احداث التقسيمات الادارية وتقسيم الممالك الثمانية الى ولايات عين واليا على (ولاية طوته) وذلك في سنة ١٢٨١ هـ. وبعد ان مكث في هذه الوظيفة ثلاث سنوات ابرز خلالها من الكياسة والسياسة ما تضيق هذه الصحائف عن ذكرها عين رئيسا الى (شورى الدولة) سنة ١٢٩٤ هـ.. ولما عزل والي بغداد تقي الدين باشا رغب المرحوم مدحت باشا في هذه الولاية وذلك تخلصا من اتعابه الكثيرة في الاستانة فباح برغبته هذه الى الصدر الاعظم عالي باشا (وكان من المعجبين بمدحت باشا) فصدرت الارادة الملكية بتعيينه واليا على بغداد مع حق النظارة على الفيلق السادس فتوجه الى عاصمة بني العباس في شهر مارت الرومي سنة ١٢٨٥ .
مدحت باشا في عاصمة الخلفاء
لا اريد ان اشرح الاصلاحات المهمة التي قام بها مدحت باشا في العراق ولا اريد ان افصل الخدمات العظيمة التي ادلى بها هذا العظيم الى العراقيين بل ساعدد تلك الخدمات الجلى تعداداً فقط:
١- وضع ضريبة العشر على الحاصلات وكان قبل ذلك تعطى جميع الاراضي بالالتزام.
٢- احداث التجنيد الاجباري على طريقة القرعة.
٣- اخماد ثورة (الدغارة) المشهورة.
٤- احداث (دائرة الطابو) وتسجيل الاراضي والعقارات.
٥- تسيير السفن البخارية في دجلة والفرات واحداث الادارة النهرية.
٦- تطهير الفرات وجعله صالحا للملاحة.
٧- انشاء المستشفيات والثكنات العسكرية والمدارس.
٨- احداث الحدائق العامة وجلب مكائن الطحن والهبش والاستفادة من معدن النفط بجوار مندلي.
٩- انشاء الترام بين الكاظمية وبغداد.
١٠- الغاء اصول (الخرص) في نخيل البصرة واحداث اصول تعداد النخيل.
١١- نقل مدينة البصرة الى ضفة شط العرب (العشار) وانشاء مدينة الناصرية بمساعدة المرحوم ناصر باشا السعدون.
١٢- الحاق قصبة الكويت بالمملكة العثمانية وجعلها مركز قضاء يتبع ولاية البصرة وتعيين شيخها مبارك الصباح قائممقاما لها.
١٣- فتح نجد الشرقية وجعل (الاحسا و(القطيف) وما جاورهما لواء من الوية ولاية البصرة وتأديب رؤساء الوهابيين مثل : (سعود وعبد الله الفيصل).
١٤- اخماد ثورة (شمر) واعدام اميرهم عبد الكريم في الموصل.
١٥- تأسيس معمل ميكانيكي عظيم لنسج وعمل ملابس واحذية الجنود في

لقد شاءت يد الغدر والخيانة ، يد الطاغية المستبد (عبد الحميد) ان يذهب هذا البطل ضحية الخوف الذي لا يفارق قلوب الظلمة والخونة.. فكمل انفاسه في زندان (الطائف) وذهب الى لقاء ربه وفي عنقه طوق ازرق من الدم المحصور.. لانه – رحمه الله – مات خنقا.. لا ايد ان اطيل البحث على القراء في تاريخ حياة المرحوم والكثير منا يعرفها.. ولكنني سابحث باختثار عن نشأته وتقلبه في المناصب المختلفة الى تاريخ استلامه زمام الامور في العراق

بغداد (العباخانة).
هذا قليل مما قام به هذا العظيم من الاعمال خلال ثلاث سنوات (فقط) وفي اوائل سنة ١٢٨٨ قدم استقالته الى الباب العالي فقبلت وغادر بغداد في شهر مايس من سنة ١٢٨٨ الرومية.
أما الاسباب التي اجبرت مدحت باشا على الاستقالة فهي تنحصر في تحركات محمود نديم باشا الصدر الاعظم (عدو مدحت باشا الالد).
وفي سنة ١٢٨٩ تولى مدحت باشا منصب الصدارة العظمى وبعد ثلاثة اشهر استقال منها وتركها الى المرحوم (رشدي باشا الكبير) وبعد ستة شهور دخل في وزارة (رشدي باشا شرواني زاده) وزيرا للعدلية، وفي هذه الاثناء احضرت الوزارة لائحة القانون الاساسي وعرضتها على لسلطان عبد العزيز فما كان من السلطان المستبد الا ان يعزل مدحت باشا من الوزارة فيبعده واليا الى (سلانيك) كما عزل الصدر الاعظم (رشدي باشا) ونصبه واليا على (حلب) ولم يمكث مدحت باشا في (سلانيك) اكثر من ثلاثة اشهر تمكن في خلالها من تأسيس (مدرسة اعدادية) تدرس فيها العلوم باللغتين الافرنسية والتركية وكان اول من جعل التدريس مباحا في مدارس الحكومة لابناء البلد على اختلاف مناهجهم الا ان هذه الاجراءات لم يتحملها الباب العالي والمغرضون اليه فتلقى امر عزله ورجع الى الاستانة فمكث فيها سنة ونصف سنة يتقاضى راتب المعزولية، وفي اواسط سنة ١٢٩٣ عين في مجلس الوزراء بوظيفة (عضو المجالس العالية) وفي اواخر هذه السنة خلع السلطان عزيز وانتحر بعد ستة ايام من خلعه فجلس على عرش (السلطان مراد الخامس) وبعد ان بقي على العرض ٩٣ يوما خلع (لمرض عقلي اصابه) فجلس السلطان عبد الحميد الثاني (يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٩٢ هـ).
وفي السنة نفسها تولى مدحت باشا منصب الصدارة العظمى للمرة الثانية وفي سنة ١٢٩٤ عزل من منصب الصدارة بغتة ونفى الى (برنديزي) ولما بلغ امين البلاط سعيد باشا الارادة السلطانية بالعزل والتبعيد الى مدحت باشا قال له:
فاذا اراد الله يقوم سوءا فلا مرد له.. الاية .. اذهب الى السلطان وقل له اني سارجع الى بلادي عن قريب! على انني سوف لا ارى ويا للاسف هذه القصور العامرة ولا ارى جلالته يسكنها.. وسوف يرى جلالته نتائج هذه الخطيئات ويندم حين لا ينفعه الندم..".
ولم يكتف السلطان المستبد تبعيده بل اخذت حاشيته تنشر في الصحف اخبار ملفقة عن خيانة المرحوم البرئ اما الصحف الاوربية فعزت الامر الى عدم امتزاج حصل بين السلطان ومدحت باشا.
ولقد اعلنت روسية الحرب على الدولة العثمانية اثناء وجود المرحوم في اوروبا فاخذ المرحوم يتجول في العواصم الاوروبية ويبث الدعاية للحكومة العثمانية بمختلف الرسائل ويتصل بكبار رجال السياسة مثل اللورد (يكونسفيلد) والبرنس (بيسمارك) والدوق (دسادير لاندين) وغيرهم من اقطاب السياسة العالمية حينذاك.. ولم يرتح السلطان عبد الحميد الى مساعي المرحوم السياسيه هذه في اور وبابل ابلغه بواسطة سفير تركية في لندن وقتئذ (موسوروس باشا) لزوم اقامته مع افراد بيته في جزيرة كريد وخصص له راتبا شهريا قدره مائتين ليرة ومصاريف سفرية قدرها خمسة الاف ليرة.. فلم يكن من مدحت باشا الا الاجابة على الامر الملكي المطاع فسافر من لندن الى جانية (عاصمة الجزيرة) في اول يوم عيد الفطر من سنة ١٢٩٥ هـ، ولم تدم اقامة الباشا في الجزيرة اكثر من شهرين حتى صدرت الارادة الملكية بتعيينه واليا على سوريا فاطاع وسافر الى الشام..
دامت ولاية المرحوم في سوريا سنتين اظهر فيها من الخدمة مالاتقل عن خدماته في العراق الا ان سياسته على الحكومة الفرنسية (التي تطمع في سوري من زمن بعيد) لم ترق للسفير الافرنسي في الاستانة فاخذ يحرك عليه عند السلطان حتى صدرت الارادة الملكية بنقله الى ولاية ازمير فغادر بيروت في شهر رمضان سنة ١٢٩٧ متجها الى محل منصبه الجديد.

الاماني 1931

مصرع المرحوم مدحت باشا

بقلم
نوري بك ثابت

نوري بك ثابت . كاتب مشهور ، ونقاد بارع ، وهو الى الهزل في اسلوبه ابرع منه في جده ، الا انه لم يقصر له في الثاني باع ، ولم يدانيه في الاول مدان ، تجد في نقده التهكم اللاذع ، والسخرية المرة ، والسهام يصوبها الى نحر خصمه فيصرعه ويتصر عليه
والموضوع الذي نقرأ له اليوم مبحث تاريخي يهم العراقيين الاطلاع عليه ، لما بين الماضي القريب ، والزمن الحاضر من عبر وعظات .

لم يبق في العراق فرد يجهل هذا الاسم الجليل ، اسم المرحوم (مدحت باشا) الذي لعب دوراً هاماً في اواخر تاريخ آل عثمان ...
والمرحوم في العراق من المآثر مالا تمحوه يد الزمان .. والحق ان وزارة المعارف العراقية ادت واجب عرفان الجميل في ادخال اسم هذا العظيم بين اسماء عظماء العرب والاسلام في منهج دراسة التاريخ للصفوف الاولية .. لذا انك ان سألت طفلا عراقياً عن هذا الاسم اجابك على الفور :
— نعم ! اعرفه ! انه مؤسس المدارس ودور الصناعة ومؤسس اول ترام بين الكاظمية وبغداد .. وبانى المستشفيات ..

نوري بك ثابت

وفاتح نجد ..... الخ
ولقد شاءت يد الغدر والخيانة ، يد الطاغية المستبد (عبدالحميد) ان يذهب هذا البطل ضحية الخوف الذي لا يفارق قلوب الظلمة والخونة ... فكفل انفاسه في زندان (الطائف) وذهب الى لقاء ربه وفي عنقه طوق ازرق من الدم المحصور .. لانه — رحمه الله — مات خنقاً ..
لا اريد ان اطيل البحث على القراء في تاريخ حياة المرحوم والكثير منا يعرفها .. ولكنني سأبحث باختصار عن نشأته وتقلبه في المناصب المختلفة الى تاريخ استلامه زمام الامور في العراق ، ثم اوجز الاسباب التي دعت الى نفيه الى الطائف ثم اصف كيفية اغتياله مع المرحوم محمود جلال الدين باشا .

— نشأته —

ولد بطل مقالنا في الاستانة في شهر صفر الخير سنة ١٢٣٨ هـ . واغتيل سنة ١٣٠١ هـ اذن فقد عاش ٦٣ سنة هي عدد السنين التي قضاها معظم أعاظم التاريخ الاسلامي (سيد الانام محمد (ص) أبوبكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، علي بن ابي طالب .... الخ)
كان والد المرحوم احد القضاة اسمه (الحاج حافظ محمد أشرف افندي) ابن (الحاج علي افندي) من مدينة (روسجق) احدى مدن بلغاريا الان على الضفة اليمنى من نهر الدانوب . وكان اسمه الاصلي (احمد شفيق) ولما بلغ العاشرة من العمر وحفظ القرآن الكريم أصبح اسمه حسب العادة المتبعة (حافظ احمد شفيق) .

احداث طريفة رافقت المباريات الكروية

مجيد اللامي

شهدتْ ملاعب كرة القدم ايام زمان الكثير من الاحداث والوقائع الطريفة نسرد البعض منها في السطور التالية:
حصل خلال المباراة هرج ومرج بسبب ضعف التحكيم حيث لامست الكرة يد احد لاعبي الطيران قرب مرماه ورأى الجميع الحادثة باستثناء الحكم السيد عبد اللطيف قدوري الذي تغاضى عن احتساب ضربة جزاء.. فصرخ الجمهور واللاعبون فما كان من الجناح الايمن للشرطة الا ان صرخ (هاندبول).. فلما سمعه الحكم غضب وصرخ باللاعب وامره بترك الساحة.. ففعل.
واضافة الى ما تقدم فان الساحة لم تكن منظمة بشكل كاف ولم تكن مخططة والحكم ادار المباراة بملابسه الاعتيادية وكان بعيداً جداً عن الكرة والشباك لم توضع على الاهداف في الشوط الاول.. مع وجود فضلات الخيل على ارض الساحة.. ومرور الدراجات.
ومن الاحداث الطريفة الاخرى التي حصلت في مباراة الحربية وفريق الاشبال التي انتهت بفوز الاول ٢-صفر ان رئيس فريق الحربية كان اقدم الجميع في الرتبة العسكرية وكان هو الامر الناهي داخل الساحة حيث كان يلعب بمركز قلب الهجوم وكان يغضب اذا لم يناوله الجميع الكرة دونما استثناء.. وذلك فالامر اثر على نتيجة الفريق خلال الشوط الاول الذي انتهى بالتعادل السلبي رغم الفرق الواضح في قوة الفريقين.
وعن ذلك الاستئثار السلبي كتب محرر جريدة الاستقلال يقول: كانت هجمات الحربية متوالية ولكن كلها لم تنجح وسبب عدم نجاحها هو استبداد متوسط الهجوم رئيس الفريق بالكرة وتعمده اصابة الهدف بمفرده ليحصل على شرف تسجيل الاصابة..
يا رئيس الفريق هذه ليست ساحة تدريب عسكرية بل ساحة لعب لافرق بين تلميذ ومدرس ولا ترهب تلاميذك بصرخاتك المتوالية.. دعهم يلعبون بحريتهم فان معظم اسباب عدم نجاح فريقك في بعض المباريات راجع لاستبدادك بالكرة وتعويدك اللاعبين على توجيه الكرة اليك دائماً.
نعود للمباراة فنقول ان الحكم مظفر احمد لم يكن موفقاً اطلاقاً لكونه يتابع الكرة وتجاهل اشارات مراقبي الخط وكان يرتدي بنطلوناً عادياً عاقه عن الحركة.
تطلب لجنة كأس الامير غازي من الفرق الاهلية تصاوير لاعبيها مرفقة بالقائمة وذلك منعاً للالتباس في اسماء اللاعبين لدى وقوع اعتراضها واللجنة قررت اعفاء هذه الفرق من نصف بدل الاشتراك لقاء ارسالها هذه الصور.. ترجوا اللجنة من يرى في نفسه الكفاءة من العراقيين في ان يكون حكماً للمباريات التي ستجري على الكأس ان يتفضل بترشيح نفسه تحريرا الى مقر اللجنة لغاية ٣١ تشرين الاول ١٩٣٣ وستكون للجنة حق البت في امر تعيينهم حكاماً.
منذ الشرارة الاولى للبطولة ظهرت مشاكل التحكيم اذ كتب المحرر الرياضي لجريدة الاستقلال وصفاً دقيقاً قال فيه في العدد الصادر يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣: تعالوا معي لنشاهد مباريات الانكليز.. هل تجدون حكماً يرتدي السروال الطويلة؟ اتجدون الربطة في عنقه؟.. الحكم ايها الرياضيون اصل اللعبة فهو كربان سفينة تسير كيفما يشاء بنشاطه وهو وحده يوقد في المباراة النار وباخطائه تصبح المباراة مهزلة.
بما ان المباراة بين فريقي الطيران واللاسلكي كانت حساسة ومصيرية فقد حدث اثناء اللعب ان ضرب مدافع اللاسلكي فائق الكرة فجاءت رجله بشكل عفوي على الجناح الايسر للطيران هادي عباس فتجاسر هذا وضرب الاول علناً امام مشهد من جميع المتفرجين ولم يقابله فائق بالمثل بل سكت واضطر الحكم الى اخراج هادي طوال اللعب اضافة الى ذلك فان مشاكل اخرى حدثت منها ان اللاعب ناصر حسين ضرب احد لاعبي اللاسلكي وهذا بادل الضرب فاشتبك الطرفان وتدخل المتفرجون وارادت المسألة ان تاخذ وضعاً اخر لولا لطف الله ثم امر الحكم اكرم فهمي باكمال المباراة بعد ان طرد ثلاثة لاعبين من الطيران واخر من اللاسلكي.

الموصل ايام زمان:

المقاهي والكازينوهات في الموصل بين 1930-1980م

معن عبدالقادر زكريا

لا نجادل في حقيقة إذا قلنا أن المقهى أو الشاي خانه (توجد فروق كثيرة بين المصطلحين) ما هما سوى مكانين وجدا أصلاً للاجتماع أو اللقاء ، ثم للتجارة فالاستراحة . وإذا كان للذاكرة أن تسعفنا بإسناد الرواة ، آباء أو أعمام أو أخوال أو ختيارية أو تبع ما وصلنا عبر توثيق مدون أو مصور ، فإن الأمر في كل الأحوال يضطرنا أن نضع لتاريخ المقهى (في الموصل في الأقل) زماناً لا يرجع بالقدم إلى أبعدّ من عقدين لما قبل سنة 1900، أو إلى فاتحة القرن العشرين المنصرم على أبعد احتمال .

ومن باب التذكير فإن اسم (القهوة) المصطلح ، الذي تداولته العامّة وطغى على اسم (المقهى) يدل على أكثر من معنى . فهو مرّة يعني المادة المنبهة ذات النكهة المعروفة برائحتها وبمذاقها ، ومرّة أخرى يعنى المكان الذي يرتاده الزبائن لقضاء الوقت أو لممارسة تجارة أو لقضاء أعمال حسب مواعيد ، أو لاحتساء القهوة ... ثم عُمّم الاستعمال للدلالة على مكان شرب الشاي مع القهوة أو بدونها.

أما بالنسبة للكازينو فقد غلب عليها طابع العصرنة ... ثم ترادفت مع شرب السوائل والبارد والمثلجات .

وتكافئ مدينة الموصل المدن العراقية الأخرى (ومنها على نحو خاص بغداد العاصمة) التي انتشرت في أسواقها وبين محلاتها التجارية عادة إنشاء المقاهي ، لا بل أن بعض مقاهيها قد ذهبت شهرته مذهب الأمثال في الأغاني وفي البستات ومنها (كهوة عزاوي) التي يقال حسب ما ذكره الرواة أن المدلل كان فيها زعلانٌ ، فضلاً عن الشهرة التي اكتسبها (إبراهيم عرب) في مقهاه وكان يدير من خلال المقهى العنتريات والسواليف الشهيرة حتى عُرف عنه بأنه من أكثر (الزمّاطين) في العراق .

وهذا النوع من المقاهي المنزرع في المحلات القديمة وبين الدور ، يسمى عند أهل الموصل بـ (قهوة المحلّي) ، وتدعى في بغداد (كهوة الطرف) وهما تعبيران لمدلول واحد . إلا أن الموصل افترقت عن تلكم في كثرة عدد المقاهي نسبة إلى عدد السكان من جهة ، وفي التقسيم الطبقي لرواد المقاهي وتصنيفاتهم المهنية من جهة أخرى.

وذلك في نظرنا له مدلول واحد ، كون الظاهرة إيّاها تدل في شكلها العام على التوسع في أعداد الشرائح العمرية التي تقع فوق سن الأربعين ، وهذا يتأتى من إيجابية الحالة الاقتصادية والاجتماعية . أما في شكل الظاهرة الخاص ، فهي تنبئ عن توسع طبقة التجار والحرفيين والعاملين في مهنة التوسط وفي البيع والشراء والزراعة ...

ونحن الباحث لا يعجبنا مذهب الذين يقولون أن كثرة المقاهي مؤشر على كثرة أعداد العاطلين عن العمل في الزمن الذي خصّصناه بذكر أسماء المقاهي ومواقعها . وحتى لو آمنا بتلك النظرة – على نحو جزئي – فإن البطالة كانت وما تزال ظاهرةً اقتصادية واجتماعية عامة تخص كل مدن القطر العراقي وريفه ، وليست قصراً على مكان محدد بعينه .

وندرج فيما يأتي أهم المقاهي التي عثرنا على واقعها في مدينة الموصل وبغض النظر عن تاريخ إنشائها الذي لم نعطه أهمية تذكر ، كون تاريخ الإنشاء يوقعنا في ارتباك نروم تجنبه .

وأهم هذه المقاهي هي :

مقهى عبد هبراية – تقع على شارع نينوى وفي المكان الذي تقع فيه اليوم مقهى الشرق وقبل هدم العمارة وإعادة بنائها .

مقهى محمود هبراية – تقع على شارع نينوى من طرفه الأيمن ، ذهاباً من باب الجسر إلى رأس الجادة ، ولها باب تطل على زقاق ضيق يؤدي إلى محلة عمو البقال ويرتادها في الغالب صنف المعلمين ، وغالباً ما تسمع فيها اسطوانات الغناء القديمة ، ومنها أرق أغاني أم كلثوم .

مقهى الشرق – لصاحبيه الأخوين صالح وجاسم أولاد شريف ، طابق علوي تقع حالياً على شارع نينوى ، وكان أولاد شريف قبل ذلك يمتلكان مقهى تقع في محلة الشيخ أبو العلا خلف البريد القديم عند انتهاء شارع النجفي نزولاً من طرفه الجنوبي .

مقهى ابن عبو أقديح – وتقع في الزاوية الركنية ما بين شارع النجفي من طرفه العلوي وشارع نينوى ، وكان الطابق العلوي من البناية يحتضن مديرية معارف الموصل . وقد اشتهر ابن عبو أقديح بامتلاكه أكبر رصيد من قاونات مسجلة باسم سيد احمد بن سيد عبد القادر الموصلي المعروف بـ(ابن الكفغ) .

مقهى البلدية – لصاحبه محمد بن داوود آل كشمولة – مطلة على نهر دجلة ومن طرف جسر نينوى وملاصقة لمديرية بلدية الموصل القديمة ، وتمثل في موقعها مكاناً رائعاً مطلاً على نهر دجلة وعلى حديقة الساحل الأيسر .

مقهى حيو الأحدب – تقع على شارع غازي ولها باب تطل على شارع ضيق يؤدي إلى جريدة فتى العراق وإلى دكاكين الصياغ (الصاغة) مجمع صنف باعة الذهب ، وتقع مقابلها محلات يونس الحاج طه تاج الطباخات والبريمزات ، وبالقرب منها في الفرع تقع مكاتب جريدة فتى العراق .

مقهى الثوب – وتطل على نهر دجلة ويرتادها تجار الصوف والجلود والمصران وكبار صنف القصابين وبعض ملاك الأطيان والجلبية .

مقهى مصطفى الأعرج – مطلة على ساحة البلدية وفي موقع النزلة المؤدية إلى جسر نينوى .

مقهى الاخوان – لصاحبيه أبو سامي وأخيه وتقع على شارع غازي ، وبعد أن هدمت حلّت محلها العمارة التي صارت من ضمنها محلات " باتا " وصيدلية وزقاق فرعي يؤدي إلى سوق الصياغ (مجمع صنف باعة الذهب).

مقهى كامل – وتقع في طابق علوي في الفسحة العريضة من باب السراي فوق مخزن الجمال لصاحبه يوسف بحّو (سابقاً) ومن ثم محلات شمس الدين (لاحقاً) وكانت تقلب إلى مسرح عصراً وتياترو في الليل على وفق ما رواه لي والدي ، ثم مشاهدتي الشخصية وأنا طفل أرافق والدي في فاتحة الخمسينات وفي العطل الصيفية ، وكنتُ قد رأيت تقسيمات الألواح المخصصة لأغراض الفرجة ... فلما سألتُ عنها ... قيل لي ما هي ...!

مقهى يحيى وابنه رشاد – (صيفي وشتوي) وكانت في نهاية الأربعينات تقع في منطقة التقاء شارعي حلب والعدالة قبالة سينما هوليوود (سينما سميراميس لاحقاً) ، ثم انتقلت في الستينات وإلى نهاية الثمانينات إلى شرق المكان وفي أرض تقابل مديرية المتحف ويقع في أرضها اليوم (سابقاً) مطعم تيسير ثم شركة نقليات (سابقاً) . وكانت تضم في الغالب صنف البنائين والمقاولين ومتعهدي النقر والحلان وجمهرة والمعلمين .

مقهى ام الربيعين ، والشهيرة بمقهى أبو داهي ، الواقعة في طابق علوي قرب موقع سيارات في شارع نينوى (محلات ابن حديد سابقا) وقبالة جامع الباشا ، ويعمل فيها القهوه جي المشهور (الملا) وهو شقيق القهوه جي المعروف إبراهيم ابو فاروق ، والمشهور (إبراهيم ابو دشداشة) .

مقهى طاهرو – تقع على شارع حلب قبالة سينما هوليوود – سينما سميراميس اليوم ، ثم فتح طاهرو كازينو أخرى بأسمه على شارع المطار في نهاية الدواسة ، ومقابل باجة أبو مزاحم ... لاحظ تشابه الأسماء (ابو مزاحم الباجه جي ...!!) .

مقهى أحمد باري – طابق علوي تقع في محل يقوم مكانه اليوم جزء من شارع الكورنيش مقابل الثانوية الشرقية . ثم افتتح احمد باري كازينو صيفي على طريق شارع المطار .

مقهى عباس – قبالة مركز العام . يرتادها الشرطة والمتقاعدين ومن العيون المساعدين (الشرطة السريين) والمخبرين وعناصر التحريات الجنائية والتحقيقات الخاصة .

مقهى ابن العناز – وتقع قبالة مركز العام في طابق العمارة العلوي الذي تقع تحته محلات حازم عفاص وعبد القادر الارحيم وعزيز فتحي تاجر الدراجات والتوتونجي زكي كرجية وبائعو الجرزات أولاد مراد .

وباب المقهى يقع من طرف جانبي يطل على سوق علوة الحنطة التي لها باب آخر يؤدي إلى شركة الأنكرلي وماكنة طحين الحاج عبد وكراج القيارة . ومن هذا الباب الثاني لعلوة الحنطة نروح ذهاباً إلى كراج حمام العليل وباب لكش . ويقوم مكانها اليوم جزء من سوق القصابين الواقع إلى طرف الشمال شرق من بناية المحافظة. ويتفرع من جانب الباب الواقع قبالة مركز العام طريق فرعي يؤدي إلى محلات سعيد حديد والمحامي عمر النوح ومن ثم يؤدي إلى موقع عمل كتّاب

العرائض المرتصفين في هذا المكان انتهاءً بالبريد القديم وخلفه يقع فرن متي أبو حازم المخصص لشوي البقلاوة وعمل القوازي ، ورؤوس الأغنام المشوية والموضوعة على صينية معدن مستطيلة الشكل ، ويضع في فم كل رأس حبة من الطماطم الحمراء (الأفرنجي) .

مقهى يحيى الكشمولة – وتقع في طلعة الجسر القديم من طرفه الأيسر صعوداً إلى شارع نينوى .

مقهى فاضل – في ركن دورة الساعة تحت جامع الصفار .

مقهى محمد ججو – تقع بجانب ستوديو روكسي وستوديو بغداد وقبالة الثانوية الشرقية. وكان يرتاده شباب الطليعة العربية من القوميين وسواهم .

مقهى المستشفى – تقع قرب دورة المستشفى ومجاورة لبقالة محمود قنديل .

مقهى طه أمين – مقهى صيفي وتقع في منطقة النبي يونس .

مقهى أبو زكي – في الدواسة ، ويرتاده بعض الشباب المثقف من أهل اليسار ، فضلاً عن المخبرين السريين – ويا لغرابة التوافق.

مقهى السويدية – في باب الجبلين ما بين تقاطعات أزقة باب النبي من جانبها العلوي وأزقة محلة الجامع الكبير ومحلة المكاوي ، وصاحبها يدعى إبراهيم باتري ، واشتغل فيها مساعداً له في بعض الأزمنة عزيز الأعور بائع الدوندرمة صيفاً والمستوى (الشلغم) شتاءً ، فضلاً عن كونه السباح المعروف الذي يقفز طيارة من شاهد قره سراي إلى نهر دجلة بين تصفيق الشباب وتهليلاتهم ، ثم هو رامياً (للجلط) من الدرجة الأولى . وهو شقيق يحيى (حياوي) الماهر في ركوب الموتور سايكلات من دورة المستشفى إلى بداية موقع معسكر الغزلاني وهو واقف على مقعد الجلوس بطول قامته . وكانت تقرأ في هذه المقهى العنترية في عقود سالفة ، وهي صيفي وشتوي .

مقهى صنف البنائين في الساعة – مقابل كنيسة الساعة ، وبعد أن أزيلت حلّت محلها عمارة من ضمن أبنيتها محلات " باتا " والتي أزيلت هي الأخرى .

مقهى سوق الصغير – ونصل إليها من شارع النجفي خلال الزقاق الذي يقودنا من محل زهير محمد صالح الخطاط انتهاءً بقرب جامع خنجر خشب . كانت تقرأ فيها العنترية ثم تحولت إلى معمل لصنع حقائب الملابس الحديدية الكبيرة والحقائب المدرسية الصغيرة لصاحبها محمود ساري وابنه توفيق ، ثم صارت فيما بعد إلى ساحة مهجورة .

متنزّه الفاروق الصيفي – الذي انتعشت سمعته في أواسط الخمسينات ثم صار إلى هجرٍ في بداية الستينات لينتهي إلى جعله موقفاً للسيارات . ويقع اليوم في مقدمته فرناً لعمل الخبز ، ومن هناك يؤدي منها الذهاب إلى حضيرة السادة .

مقهى صفو – في باب الجديد .

مقهى صالح القدوري – تقع في محلة الخاتونية ، وبالقرب من دور آل العاني .

مقهى المصبغة – تقع في شهر سوقي قرب دار المحامي زياد الجليلي ومجاورة لجامع عمر الأسود . ويمتلك هذا المقهى أولاد نني (حازم وغانم وسالم) وتعرض فيه (القبوج) من أرقى الأصناف . وقد وصلني أن أحد المغرمين بتربية القبوج من آل عبيد أغا اشترى (قبجاً حبيسياً) بمبلغ خمسين دينار سنة ١٩٦٨ ....!!

مقهى فرحان أبو الكاز – تقع في منطقة شهر سوقي وعلى الطرف الثاني – عبر الشارع – من مساكن الجليليين . كما أن فرحان أبو الكاز أنشأ كازينو صيفي تقع إلى الجانب الأيسر من الشارع الذاهب من جسر الملك فيصل الثاني (جسر الحرية) باتجاه نبي الله يونس . وكانت لها شهرة واسعة في الثمانينات ، ويرتادها زبائن مخصوصون دائميون

مقهى الفجر العربي والتي تغير اسمها فيما بعد إلى مقهى ليالي الموصل – تقع على شارع نينوى فوق صيدلية شفيق الهس وقرب مفترق شارع نينوى مع شارع النجفي ، ثم صارت تحتها بقالة فواكه لصاحبها احمد شقيق محسن جعّبة لاعب كرة القدم الموصلي الأشهر ، والذي اشتغل في آخر سني حياته في معمل النسيج مدرباً لفريقه .

مقهى الطليعة – في الصياغ لصاحبها عبد خروفة . وباب المقهى جانبي مجاور لبواري حديد الصياغ من طرف شارع النجفي .

مقهى ١٤ تموز – وتقع قبالة التقاء شارع غازي بشارع نينوى – طابق علوي ، وكانت المقهى وزبائنها محسوبين على الشيوعيين على نحو عام ، وعلى أهل اليسار على نحو خاص.

مقهى محمد فرج – وتقع قرب محلات النقليات الذاهبة إلى أربيل وكركوك في شارع العدالة قرب شارع الصابونجي مقهى ناجي – وتقع في بداية شارع العدالة من طرف باب الطوب ، ثم صارت إلى مجموعة محلات ستوري وجبوري إخوان لبيع البولبورينات ، وجوارها تقع محلات سليمان الحموشي وعبد الجبار حامد لبيع إطارات السيارات .

مقهى سوق الخيل – وتقع إلى الأعلى من منطقة باب الطوب من طرف بائعي الساعات القديمة وأهل الخردة فروشيات والمزادات وبيع الخناجر وبوكسات الحديد ، ويرتادها هواة الطيور وجامعي (المسبحات الكهرب) ، ومن أشهر من عمل في كار المسبحات المرحومين عدنان بن عمر أغا التوتونجي والمعلم محمد نوري ..

مقهى حمه باوه – وتقع قرب كراج آرتين الأرمني للنقل بالسيارات داخل الموصل والى مصايف الشمال .

كما توجد مقهى في المثلث المحصور في الشارع الصاعد من سوق الشعارين إلى إمام إبراهيم – دكة بركة ، وذاك الشارع القادم من المكاوي الذاهب إلى منطقة الميدان فيما كان يعرف بشارع عارف السماك .

مقهى فتحي – وتقع في بداية شارع النبي جرجيس – سوق الشعارين ، ورواده جلّهم من صنف البنائين والنقارين . وكان صاحب المقهى فتحي ، ذلك الرجل ضخم الجثة يرتدي دشداشة لا لون لها بل رائحتها خليط من سبعة انواع ، وعرقجين أبيض مقلماً باللون الأصفر يميل قليلاً إلى السواد . وتميل بشرة جلد فتحي بغزارة إلى اللونين القهوائي والأسود . وقد روى لي صديقي نبيل الخفاف (تقع دارهم) في مكان مقابل مقهى فتحي في مدخل الزقاق المؤدي إلى باب النبي جرجيس . قال صديقي ان بصمات ابهامي يدي فتحي قد أزالهما نهائيا (ادباغ الجاي) ، ثم هو يمسك العملة المعدنية (فئة العشرين فلساً) بين سبابته وابهامه (المخشوشنتسن) فيفرك العملة المعدنية ليصار إلى أن تزول عن العملة الكتابة المنقوشة عليها مع صورة الملك إزالة تامة ...!

توجد مقهى مقابل حمام بور سعيد في دكة بركة وعلى ناصية الزقاق العريض القادم من المكاوي والذاهب إلى الشهوان ، ويرتادها الجماسة والختيارية من أهل المنطقة

مقاهي متفرقة في رأس الجادة وباب سنجار وفي منطقة النبي شيت وفي دورة باب الجديد – شارع الصديق – المحطة .

مقهى أبو صيفي وشتوي وتقع قرب نادي الفتوة الرياضي ومزادات بيع الأثاث في منطقة باب الجديد ، ويرتاده ختيارية باب الجديدو محلة السجن ، وتقع إلى جواره مقهى روادها جميعاً من هواة سباق الخيل وتوزع فيها جريدة المضمار وتقع قرب محلات طرشي الرسول.

كازينو بور سعيد الصيفي – تقع بعد عبور جسر الجمهورية في الساحل الأيسر (من طرفه الأيمن) لصاحبها عبد خروفة .

كازينو الحمراء – وتقع على رأس الزاوية المحصورة بين شارع حلب من جهة وشارع العدالة ، وقبالة ملهى السفراء والمزين الأرمني كيغام ، وكان يرتادها المعلمون والمدرسون على نحو خاص .

كازينو سعد – وتقع على زاوية شارع فرعي ضيق مع شارع العدالة وقبالة مقهى يحيى. وكان روادها من الشباب لاعبي الأزنيف وطلاب الجامعة ، وصاحبها هاوي الخيل ومربيها المعروف طه شويت بقال البجاري ، وهو شقيق بائع التحفيات ياسين شيت تحافي الواقع محله على شارع العدالة وبالقرب من خياطة محمود ثابت .

كازينو السويس – وتقع على شارع العدالة قرب بوفيه السويس لصاحبه الأرمني آكوب والد الدكتورة سيروهي ، وكان مشهوراً بعمل الباسطرمة القيصري .

كازينو النهرين – وتقع على شارع العدالة جوار مطعم النهرين لصاحبه يونس الشاهين البجاري (أبو تحسين) . وقد اكتسبت شهرة كبيرة طوال عقد الستينات وبعضاً من عقد السبعينات .

كازينو أطلس – وقد اكتسبت شهرتها في عقد السبعينات . وقد تحسب – إلى حدٍ ما – تعويضاً عن كازينو النهرين في لم شمل المبدعين . وكان يرتادها الكتّاب والأدباء والشعراء وكل المعنيين بالثقافة من جيل الستينات . وكانت هناك حارة خاصة تجمع الشاعر الراحل ذو النون شهاب أشهر لاعب أزنيف في العالم والراحل عمر الطالب وآخرين من مثل طلال حسن وعبد الباري عبد الرزاق النجم وسعد الدين خضر وأنور عبد العزيز ويوسف البارودي. وقد شهدت كازينو أطلس في أواسط السبعينات مناظرات صاخبة وجدالات عميقة في شتى انواع المعرفية الأدبية والسياسية والفنية . وكان يعد الدكتور عمر الطالب بحق ، المحور الأساس في اجتماعات الشلل في هذه الكازينو ، فضلاً عن التجمعات الأخرى التي كان يعقدها في دارته ويستضيف فيها كل من يود الحضور في تلكم الندوات .

وإذ تسارعت عقود السنين ركضاً أو خبباً وآخرها عقد السبعينات ، دخل العراق على نحو عام والموصل على نحو خاص في بودقة جديدة من الحالة – ليست كسابقاتها – ليصير الأمر إلى تقلص أعداد المقاهي ، مثلها (مثل اشياء أخرى لها علاقة بالحرية وبالهواء الطلق) وانكفاء الأصحاب من أهل الكار عن مواصلة أعباء المهنة ... بل تفرق الجمع من طلبة ومعلمين وأصحاب مهن وختيارية بين أزقة أضلاعهم ، يمضغون آلامهم ، ويتأوهون على ازمنة كانت فيها تخوت الخشب المتهرئة خير نديم صامت لهم ، يبثونها شكاواهم ، ويأتمنونها على بصاقات ملونة يمسحون بها شواربهم ذهاباً إلى أسفل مشاياتهم وأنعلتهم ... ويحمدون الله على نعمائه وحسن المنال ... وما آل إليه الحال .... وأن العافية درجات ...!

.... وإذ صرنا إلى عقد الثمانينات صارت المقاهي إلى انقراض ، وكنّا جميعاً نقرأ ما خطّ على آلاف اللافتات السود ، المعلقة على آلاف الجدران المتآكلة ... (انتقلت إلى الحياة الأخرى مقاهي الموصل ... لأجل أن تدوم راحة عيون الزبائن وأرجلهم وظهورهم ... عسى الله ان يجعل من دورهم أفضل الأمكنة للتعرف على الأسرة عن قرب ... ومجالسة الأطفال السعداء مجالسة حداثوية ... ومصاحبة الزوجات صحبة الخلّ للخليل ....!) .

مقهى السويدية - في باب الجبلين ما بين تقاطعات أزقة باب النبي من جانبها العلوي وأزقة محلة الجامع الكبير ومحلة المكاوي ، وصاحبها يدعى إبراهيم باتري ، واشتغل فيها مساعداً له في بعض الأزمنة عزيز الأعور بائع الدوندرمة صيفاً والمستوى (الشلغم) شتاءً ، فضلاً عن كونه السباح المعروف الذي يقفز طيارة من شاهد قره سراي إلى نهر دجلة بين تصفيق الشباب وتهليلاتهم ، ثم هو رامياً (للجلط) من الدرجة الأولى . وهو شقيق يحيى (حياوي) الماهر في ركوب الموتور سايكلات من دورة المستشفى إلى بداية موقع معسكر الغزلاني وهو واقف على مقعد الجلوس بطول قامته . وكانت تقرأ في هذه المقهى العنترية في عقود سالفة ، وهي صيفي وشتوي .

من أشهر المحاكمات السياسية في العراق الحديث

د. مؤيد الونداوي
باحث ومؤرخ

فيصل الاول

جعفر العسكري

مزاحم الباجه جي

القسم الاول -1921 1939 أولا: اشهر المحاكمات السياسية في العهد الملكي 1920-1939

واجه الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨ مقاومة عراقية عنيفة تجلت عبر صور مختلفة أهمها عندما تطوع الاف من العراقيين للقتال، وتعد معركة الشعيبة (١٩١٥) النموذج البارز في هذا الميدان إذ تقدم المقاتلتين، عدد من رجال الدين وشيوخ القبائل من بينهم المرجع الكبير الحبوبي والشيخ محمود الحفيد.

وتعد ثورة عام ١٩٢٠ الصورة الأولى للمقاومة العراقية للاحتلال، وكانت السبب في ان يعترف البريطانيون بوجوب منح العراق حق تشكيل حكومته الوطنية، وهكذا جاء تشكيل اول حكومة عراقية في ٢٥ تشرين اول ١٩٢٠، برئاسة عبد الرحمن النقيب.

بعد ذلك التاريخ ولغاية عام ١٩٣٢ وهي السنة التي نال فيها العراق استقلاله التام واصبح عضوا في عصبة، كان العراق قد اصبح قيد الانتداب والوصاية البريطانية بموجب قرارات عصبة الامم، البريطانيون من جانبهم قدموا الكثير من مقاومي الاحتلال للمحاكم العسكرية البريطانية، والتي قضت بالحكم عليهم بالإعدام والسجن أو النفي خارج البلاد، وتعد قضية الشيخ ضاري المحمود والحكم عليه بالإعدام واحدة من اشهر المحاكم السياسية المبكرة التي شهدها العراق الحديث، على الرغم من ان المندوب السامي السير بيرسي كوكس كان قد اصدر عفوا عاما عن جميع المشاركين بتلك الثورة وذلك في ٣٠ مايس ١٩٢١.

وتعد قضية اغتيال وزير الداخلية توفيق بك الخالدي بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٢٤ اول جريمة اغتيال سياسي في تاريخ العراق الحديث، على وفق ما أرخه لنا السيد عبد الرزاق الحسني، وقعت الجريمة عندما كان الضحية متجها الى منزله مساء ذلك اليوم، ولقد قيل الكثير عن دوافع هذه الجريمة والاشخاص الذين حرضوا عليها، وقد ذكرت اسماء مسؤولين كانوا على راس الحكم في العراق، منهم الملك فيصل الاول وجعفر العسكري ونوري باشا، إذ قيل في حينه ان المغدور كان من انصار الجمهورية، وكان يتطلع الى ان يحكم العراق عراقي، ولهذا تم الاتفاق على التخلص منه عبر تكليف شاكر القره غولي الذي اختبأ في منزل عبد الحميد كنه القريب من منزل الخالدي، ومنه انطلق ونفذ جريمته.

قيل أيضا ان القومين العرب قابلو الاغتيال بالغبطة والسرور وعلى راسهم ياسين الهاشمي لكون الخالدي كان من دعاة الاتحاديين وكان عضوا بارزا في الحزب الحر العراقي المعروف عنه موالاته للإنكليز، ولهذا فقد تم تكليف عبد الله محمد سرية بتنفيذ عملية الاغتيال وقد نفذها بمساعدة القره غولي، وهذا ما أسر به الى الحسني في عام ١٩٤١ عندما كان الرجلان معتقلين بعد وقوع احداث ١٩٤١.

لم يسجل التاريخ العراقي الحديث تورط الملك فيصل الاول بأي جريمة من هذا النوع، وعلى أية حال لم يهتم احد في متابعة هذه الجريمة وتقديم الجناة للمحاكمة.

القضية الاهم التي اتخذت شكلا سياسيا وعرفت باسم قضية الرسائل السرية التي تم توزيعها وايصال نسخ منها الى الملك فيصل والتي ثبت بعد التحقيق ان وراءها مزاحم بك الباجي، احداث القضية التي حصلت وقائعها ١٩٣١ وكان الباجي قد احتل اكثر من منصب وزاري قبل ذلك التاريخ وقد وجه له الاتهام بانه وراء كتابة تلك الرسائل التي تعرضت الى الذات الملكية وقد نظر لمحاكمته على انها محاكمة سياسية غير انه كانت هنالك وكما يبدو لنا دوافع شخصية وعائلية ايضا لم يكشف عنها التاريخ بعد وقد اطلعنا عليها من خلال مطالعتنا لبعض الوثائق البريطانية.

تمت تسوية المشكلة بين الباجي والملك بهدوء ونقل الباجي للعمل في السلك الدبلوماسي إذ امضى حوالي ١٨ عاما في أوربا قبل ان يعود ويتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٤٨.

خلال السنوات ١٩٢١-١٩٣٦ وقعت احداث كثيرة سببتها احداث وشخصيات سياسية وزعامات عشائرية اتخذت شكل الثورات العشائرية وهي ثورات كانت تقف وراء الكثير منها اسباب ودوافع سياسية، غير أن أيا من الاشخاص والجماعات التي حرضت عليها لم يتم تقديمه الى المحاكم، وقد كان من بين الاساليب التي اتبعتها الحكومات في معالجة مثل هكذا مشاكل أعمال التأديب والنفي والاقامة الجبرية والفصل من الوظيفة أو الدراسة والعفو وفي هذا المجال هنالك العشرات من الامثلة التي تؤكد ما ذهبنا اليه هنا ولا مجال لذكرها أذ هي ليست هدف هذا الموضوع غير ان أهم تلك الثورات العشائرية كانت ثورات عشائر الفرات الاوسط وثورة خوام العبد العباس وثورات الشيخ محمود الحفيد وثورة بارزان وقضية الآثوريين وهي جميعها احداث خلالها سقط صرعى وجرحى الكثير من الاشخاص الحكوميين والعسكريين والمدنيين مع اتلاف ونهب للكثير من الممتلكات العامة.

في عام ١٩٣٦ وقعت جريمة مروعة وذلك عندما أقدم عدد من الضباط المشاركين في اول انقلاب عسكري نفذه الجيش العراقي وقاده الزعيم بكر صدقي بتنفيذ عملية اغتيال الفريق جعفر العسكري وزير الدفاع في حكومة ياسين الهاشمي. لم تكن هنالك نية اصلا لدى من ساهم في تخطيط وتنفيذ الانقلاب تنفيذ جريمة كهذه بقدر ما اجبرتهم تطورات الاحداث ان ينفذوها عندما قرر العسكري سلوك مسلك التفاوض معهم من اجل انهاء المشكلة، غير ان من ارتكب الجريمة وهم خمسة ضباط كانوا قد قرروا تنفيذها اعتقادا منهم ان اغتيال العسكري سيفتح الطريق لنجاح تنفيذ العملية الانقلابية وهذا ما حصل فعلا.

حاولت الحكومة المدفعية التي تشكلت بعد مقتل بكر صدقي تقديم القتلة الى المحاكمة غير ان قانون العفو العام الذي استصدرته وزارة حكمت سليمان في ١ مايس ١٩٣٧ حال دون ذلك، ولم يقدم للمحاكمة منفذو هذه الجريمة على الرغم من اعترافهم بارتكابها

كما شهدت المرحلة التي اعقبت نجاح الانقلاب وتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة حكمت سليمان عددا من الاغتيالات السياسية شملت ضياء يونس الموصلي، سكرتير مجلس الوزراء في حكومة ياسين الهاشمي وذلك في كانون الثاني ١٩٣٧ كما عثر على علي رضا الجعفري شقيق جعفر باشا ذبيحا في منزله في اذار ١٩٣٧ ونفذها نائب العريف محمد عبد الله التلعفري، بينما نجا مولود باشا مخلص من الاغتيال في شباط ١٩٣٧.

لم ينعُ بكر صدقي طويلا إذ بتاريخ ١١ اب ١٩٣٨ تم اغتياله وبصحبته المقدم محمد علي جواد امر القوة الجوية. عملية الاغتيال تمت في حديقة مطار الموصل بينما كان بكر صدقي بالطريق إلى تركيا، خطة الاغتيال رتبها عدد من ضباط الجيش لم يتم تقديم اي منهم للمحاكمة بسبب حاجة الاوضاع الداخلية من أجل تسوية الموضوع وغلق الملف.

تعد محاكمة رئيس الوزراء حكمت سليمان والذي تولى منصبه هذا بعد تنفيذ بكر صدقي انقلابه الشهير عام ١٩٣٦ واحدة من أشهر المحاكمات. بتاريخ ٦ اذار ١٩٣٩ ..

أعلنت الحكومة وكان وقتها يرأسها نوري باشا السعيد عن وجود مؤامرة تهدد ام البلاد واستقرارها وقد وجهت الاتهام الى حكمت سليمان بانه وراء تدبير هذه المؤامرة ومعه عدد من الضباط.

كان السعيد لا يزال ناقما على حكمت سليمان ودوره في احداث انقلاب ١٩٣٦ الذي نجم عنه مقتل جعفر باشا الذي كان متزوجا من شقيقة نوري السعيد، فضلا عن كون نوري هو نفسه قد غادر العراق طواعية خوفا على حياته من بكر صدقي واعوانه واستقر في القاهرة محرضا ضد المساهمين في ذلك الانقلاب.

الحقائق التاريخية تؤكد عدم وجود مؤامرة من تدبير حكمت سليمان وان القضية لم تكن سوى عملية ملفقة دبرها نوري السعيد من اجل الانتقام من حكمت سليمان والذي تم تقديمه للمحاكمة والتي بدورها أصدرت حكما بإعدامه.

أطراف عديدة تدخلت من اجل انقاذ رأس حكمت سليمان من حبل المشنقة وكان من بين من تدخل السفير البريطاني في بغداد، ونصح بعدم تنفيذ الحكم قناعة منه بان القضية بمجملها عملية سياسية دبرها نوري السعيد وبالتالي ليس من مصلحة حاضر العراق ومستقبله ان يتم تنفيذ هذا الحكم وكان السفير يرى بأن تنفيذ الحكم قد يفتح الباب واسعا لمزيد من التصفيات السياسية لاحقا. في النهاية اجبر حكمت سليمان على البقاء في السجن لبضع سنين ثم اعفي عنه ليقضي بقية حياته بعيدا عن عالم السياسة العراقية.

مقتل الملك غازي بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٩ بسبب حادث السيارة الشهير لا يزال موضوع جدل بين المؤرخين فيما اذا كان مقتله ناجما عن خطة ساهمت بها اطراف كي تتخلص منه ام ان الحادث كان نتيجة تهور الملك في قيادته لسيارته.

صحيح ان هنالك من يربط بوجود دور لنوري السعيد بالموضوع غير انه يبقى محصورا في عالم التكهنات خاليا من اي سند يؤكد ذلك، والوثائق البريطانية المعروض منها لا تساعد بشيء. هذه القضية تبقى موضوع جدل حالها حال قضية مقتل وزير المالية رستم حيدر بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ على يد مفوض الشرطة المفصول المدعو حسين فوزي توفيق والذي مرة اخرى حاول بعض المؤرخين عدها من الجرائم السياسية التي ارتبط اسم نوري السعيد بها ولكن من دون ان يقدم اي دليل واضح. المهم تم التعامل مع القضية بوصفها قضية جنائية وصدر حكم الاعدام بحق مرتكبها.

ثانيا: أشهر المحاكمات في العهد الملكي بين 1941 و 1958.

ثورة مايس ١٩٤١ وما نجم عنها من تطورات واحداث انتهت ليس بالفشل فقط، بل كانت سببا في ان يشهد العراق سلسلة من المحاكمات التي طالت قادة الثورة من مدنيين وعسكريين، مثلما طالت اعداد كبيرة من الناشطين السياسيين ممن وقف الى جانب الثورة وساهم فيها.

لم تكن الثورة سوى نتاج لسلسلة من الحوادث السياسية انتهت بأن فرضت بريطانيا الحرب على العراق، من اجل ضمان مصالحها السياسية والعسكرية والاستراتيجية وهي تخوض الحرب ضد ألماني.

تعد ثورة عام 1920 الصورة الأولى للمقاومة العراقية للاحتلال، وكانت السبب في ان يعترف البريطانيون بوجوب منح العراق حق تشكيل حكومته الوطنية، وهكذا جاء تشكيل اول حكومة عراقية في 25 تشرين اول 1920، برئاسة عبد الرحمن النقيب.

بعد ذلك التاريخ ولغاية عام 1932 وهي السنة التي نال فيها العراق استقلاله التام واصبح عضوا في عصبة، كان العراق قد اصبح قيد الانتداب والوصاية البريطانية بموجب قرارات عصبة الامم

لم يكن امام الوصي سوى المصادقة على تنفيذ الحكم، من اجل ان يرضي الشارع العراقي بعد وقوع النكبة في فلسطين.
اكثر الشخصيات السياسية الذي طالته المحاكم كان زعيم الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي. أنظم الجادرجي الى حزب الاخاء الوطني الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي عام 1930 وانتخب عضواً في اللجنة المركزية لذلك الحزب. وتولى ادارة صحافة الحزب المذكور فحوكم في عهد وزارة نوري السعيد الاولى وحكم عليه بالسجن، وفي تلك الفترة اظهر كامل الجادرجي مقدرة كبيرة في ادارته لصحافة حزب الاخاء الوطني.

الاحداث الداخلية المتسارعة انتهت بتدخل الجيش العراقي ممثلا بما عرف في حينه باسم الضباط الاربعة، ونقصد بذلك العقيد صلاح الدين الصباغ ورفاقه وفرضهم ان يتولى رشيد عالي الكيلاني الحكومة، واجبرت تلك الاحداث الوصي على العرش الامير عبد الاله، على الهرب وترك البلاد ليستقر في عمان، وقد تبعه إليها عدد آخر من السياسيين الموالين له في مقدمتهم نوري السعيد واخرون، وحالما تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على الاوضاع، وإعادة الوصي الى بغداد جرت ملاحقات واسعة لكل من كان طرفا في الثورة، تم اعتقال الكثيرين ونقلهم الى معسكرات اعتقال في الفاو والعمارة وفي روديسيا، في حين تم تنفيذ محاكمة لمن تم اعتقالهم من رؤساء وزراء ووزراء وقادة في الجيش ومدراء عامين، واصدرت بحقهم بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٤٢ احكام الاعدام والسجن مع الاشغال الشاقة، وتم تنفيذها بعد ساعات قليلة من صدورها.

من أهم الشخصيات التي صدرت بحقهم احكام الاعدام ومن ثم تنفيذها، كان العقيد صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب في حين خفف حكم الاعدام لاحقا عن علي محمود الشيخ علي والفريق امين زكي ويونس السبعاوي وتم سجنهم لبضع سنوات.

كما حكم على الوزير ناجي شوكت بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة بينما توفي ناجي السويدي في معسكر اسره في روديسيا وكان واحدا من افضل رجالات العراق الوطنيون.

وتعد محاكمات ثوار مايس ١٩٤١ من اشهر المحاكمات السياسية لأنها كانت سببا لاحقا في خلق حالة من العداء لدى تيارات سياسية لأن تعمل من أجل أسقاط النظام السياسي فيما بعد.

أحداث كانون الثاني ١٩٤٨ التي شهدتها البلاد بسبب توقيع معاهدة بورتسموث نجم عنها سقوط الكثير من المتظاهرين بين جريح وقتيل وقد تم اعتقال الكثير من المساهمين فيها، ولكن وفي النهاية لم تكن هنالك محاكمات سياسية بالمعنى الكامل لهذا الوصف على الرغم من تأكيد الحكومة على تنفيذ أحكام قانون التجمعات، والذي يقضي بالسجن لمدد حدها الاقصى الحبس لمدة تصل الى خمس سنوات، لمن يشترك او خطب على ملأ من الناس او الصق على الجدران اوراقا مطبوعة او غير مطبوعة او وزعها محرضا الناس على التجمهر.

الحرية الصحفية والتعددية الحزبية التي بات يشهدها العراق بعد نهاية الحرب الثانية، وان كانت محدودة فأن نوري السعيد ولأجل أن يضع حدا لاستمرار التظاهرات في شوارع بغداد، والتي تواصلت منذ مطلع كانون الثاني ١٩٤٨، ولأجل تنفيذ شكل من اشكال القبضة الحديدية في حكم البلاد بعد الهزيمة في فلسطين، فقد وجد في الحزب الشيوعي العراق ضالته لكونه لم يكن بوسعه محاربة الاحزاب القومية ومنها حزب الاستقلال.

وكان مكتب التحقيقات الجنائية قد تمكن في منتصف كانون الثاني ١٩٤٧ من كشف قيادات تنظيم الحزب، الذي أصرت الحكومة عدم منح إجازة تأسيسه في عام ١٩٤٥-١٩٤٦،بقيادة زعيم الحزب يوسف سلمان يوسف (فهد) وهكذا تم اعتقاله وعدد من قادة الحزب ومحاكمتهم . تم الحكم على فهد واثنين من قادة بالإعدام، بينما تم الحكم على اربعة عشر اخرين مددا مختلفة. محكمة التمييز التي عرض عليها الحكم ابدلت عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد. السجناء تم نقلهم الى سجن الكوت لتمضية مدد محكومياتهم فيه، ولكن اكتشف فيما بعد انهم استمروا يواصلون نشاطهم السياسي من داخل السجن، وقد تمكنت دوائر الشرطة من كشف كامل التنظيم بما في ذلك المطبعة الحزبية.

ولما تشكلت وزارة نوري السعيد العاشرة فقد نشطت دور المجلس العرفي العسكري في ايلول ١٩٤٨ وهو المجلس الذي اصدر حكمه بالإعدام شنقا حتى الموت على فهد وثلاثة من رفاقه. وقد تم تنفيذ حكم الاعدام بحقهم وذلك في ١٤ و ١٥ شباط من عام ١٩٤٩. وتعد هذه القضية من اشهر القضايا السياسية التي شهدت تصفية خصوم سياسيين بسبب من نشاطهم السياسي.

الوثائق الرسمية البريطانية ذات الصلة وقضية اعدام قادة الحزب الشيوعي تم حجبها بالكامل باستثناء ورقة واحدة، تشير الى ان نوري السعيد كان وراء المطالبة بتنفيذ الحكم. وفي قضية اخرى تتصل بشخصية اجتماعية معروفة ونقصد به التاجر العراقي المعروف شفيق عدس (يهودي) وكان قد حكم عليه بالإعدام هو الاخر عن جريمة المتاجرة مع اسرائيل، فأن الوثائق البريطانية المتصلة وهذه القضية معروضة بالكامل وهي تظهر حجم الضغط الذي مارسه السفيران البريطاني والامريكي في بغداد على الامير عبد الاله، لأجل عدم تنفيذ الحكم بحق المدان على الرغم من علمهما بحقيقة ما ارتكبه من جريمة جنائية .

لم يكن امام الوصي سوى المصادقة على تنفيذ الحكم، من اجل ان يرضي الشارع العراقي بعد وقوع النكبة في فلسطين.

اكثر الشخصيات السياسية الذي طالته المحاكم كان زعيم الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي. أنظم الجادرجي الى حزب الاخاء الوطني الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي عام ١٩٣٠ وانتخب عضواً في اللجنة المركزية لذلك الحزب. وتولى ادارة صحافة الحزب المذكور فحوكم في عهد وزارة نوري السعيد الاولى وحكم عليه بالسجن، وفي تلك الفترة اظهر كامل الجادرجي مقدرة كبيرة في ادارته لصحافة حزب الاخاء الوطني.

وكان الديمقراطيون قد بدأوا بالتجمع قبيل حوادث عام ١٩٤١ في العراق، وكان كامل الجادرجي متصلاً بهم وبالحركة الوطنية عموماً، وفي ايلول من عام ١٩٤٢ اصدر مع عدد من الديمقراطيين جريدة (صوت الاهالي) ومع إجازة تأسيس الاحزاب العراقية عام ١٩٤٥ اسس كامل الجادرجي مع محمد حديد وحسين جميل ، الحزب الوطني الديمقراطي الذي اجيز رسميا في نيسان عام ١٩٤٦ وقد تولى كامل الجادرجي قيادة الحزب.

خاض الجادرجي مع حزبه المعارضة ضد العهد الملكي . وقد قدمته وزارة ارشد العمري للمحاكمة بعد تكوين الحزب بأشهر قليلة عام ١٩٤٦ وحكم عليه بالسجن ثم نقض الحكم وأعيدت المحاكمة، استمر الجادرجي في خطه الديمقراطي وقدم للمحاكمة مرة اخرى عام ١٩٤٧، في حزيران عام ١٩٤٩ قدم نوري السعيد الذي كان على رأس الوزارة كامل الجادرجي مرة أخرى الى المحاكمة وحكم عليه بالسجن مع ايقاف التنفيذ وإغلاق جريدة صوت الاهالي.

معظم المحاكمات التي تعرض لها الجادرجي كانت مناسبة يتم خلالها إذلال الحكومة وكسب التأييد له وقد نجى الجادرجي بحياته ولكنه قضى أوقات مهمة من حياته في مواقف الشرطة.

في عام ١٩٥٢ شهد العراق حدثا سياسيا كبيرا اطلق عليه المؤرخون اسم انتفاضة كانون الثاني. اضراب طلبة كلية الصيدلة لم يكن حدثا انيا منعزلا بقدر ارتباطه بمجمل الاوضاع السياسية العامة القائمة في البلاد وقت ذاك. لقد تطور الاضراب بسرعة الى تظاهرات كبيرة عمت بغداد رافقها وقوع مصادمات بين قوات الشرطة والمتظاهرين سقط خلالها عدد من الجرحى والقتلى. ولقد استغلت قوى المعارضة السياسية الاحداث واستخدمتها لمصلحتها الى ابعد الحدود، وكانت النتيجة ان اضطر الوصي على العرش ان يستعين بالجيش وان يأتي بالفريق نور الدين محمود لتولي الوزارة خلفا لحكومة مصطفى العمري التي اجبرتها الاحداث على تقديم استقالتها. من جديد تم اعلان الاحكام العرفية في بغداد وتعطيل تنفيذ قانون اصول المحاكمات الجزائية وعدد اخر من القوانين، لأجل ان تتمكن المحاكم العرفية والعسكرية من اصدار احكامها على وفق ما يتراءى لقائد القوات العسكرية.

هذا وقد اصدر الزعيم الركن عبد المطلب الامين قائد القوات العسكرية للإدارة العرفية قرارا بغلق عدد من الاحزاب منها حزب نوري السعيد (حزب الاتحاد الدستوري) وايضا حزب صالح جبر أي حزب الامة الاشتراكي وشمل القرار ايضا حزب الاستقلال والوطني الديمقراطي وحزب الجبهة الشعبية. هذا وقد تم القبض على العشرات من المتظاهرين وزجهم في المعتقلات ولكن لم يمض وقت طويل حتى تم اطلاق سراح معظمهم نتيجة لسياسة تطيب الخواطر التي نفذتها الحكومة.

حكومة نوري السعيد الثانية عشرة والتي تشكلت في شهر اب ١٩٥٤ احد اهم الوزارات التي تشكلت في العراق الملكي وهي الوزارة الاطول عمرا إذ استمرت وبعد ان شكل نوري السعيد حكومته الثالثة عشر لغاية نيسان ١٩٥٧. هذه الوزارة لا تزال موضوع جدل بين المؤرخين وما تمت كتابته عنها لا يزال يعكس الجانب المظلم منها، بسبب موقفها من احزاب المعارضة ودورها في تأسيس حلف بغداد، وموقفها من قضية العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦. بالمقابل اجد ان هنالك جانبا اخر مضيئا عملته الحكومة عبر اصدارها اكثر من مائة تشريع يتصل بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبناء الهيكل الوظيفي للدولة بما في ذلك اصدار قانون الضمان الاجتماعي وغيره.

كان السعيد بحاجة الى استخدام سياسة العصا الغليظة من جديد ضد خصومه ومثلما فعل عام ١٩٤٩، وذلك من أجل تنفيذ خططه في انهاء معاهدة ١٩٣٠ واقحام العراق بحلف دفاعي يضمن للعراق الحماية الغربية بالضد من توجهات الاتحاد السوفيتي. اقدم نوري باشا على اصدار سلسلة من المراسم بموجبها تم تعطيل الحياة الحزبية وتحجيم المعارضة السياسية، كما شرّع قانونا بموجبه تتمكن الحكومة من اسقاط الجنسية عن العراقي الذي تتم ادانته بأنشطة سياسية. قوانين كهذه ساعدته كثيرا في الهيمنة على البرلمان وتأسيس حلف بغداد. ولكن لم يمر وقت طويل حتى انفجر الشارع العراقي بسبب موقف الحكومة من العدوان الاسرائيلي – الفرنسي – البريطاني على مصر.

من جانب الحكومة وتحت ذريعة تهيئة البلاد لمواجهة احتمالات تطورات العدوان على مصر لجأت الى اعلان حالة الاحكام العرفية من جديد، في حين كانت مثل هذه الخطوة تهيئة الارضية لمواجهة غضب الشارع العراقي والذي لم يدم وقت طويل حتى شهد التظاهرات الكبيرة والواسعة التي عمت مدنا عراقية عديدة سقط خلالها العديد من الجرحى وزج بالمئات في السجون والمعتقلات وتم فصل المئات من الطلبة من الكليات والمدارس.

قادة احزاب المعارضة السياسية تم اعتقالهم ومن بينهم كامل الجادرجي ومحمد صديق شنشل وفايق السامرائي وعبد الرحمن البزاز وجابر عمر وحسين جميل وحسن الدجيلي ومحمد علي البصام وغيرهم وقد صدرت بحقهم احكام بالسجن ونفي الاخرون الى مناطق نائية في شمال العراق .اما شيوخ العشائر فقد تم نفي عدد منهم الى مناطق خارج مناطق سكناهم الاصلية.

انتهى النظام الملكي في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ ولكن مما يمكن تسجيله انه حاول دوما تجنب سياسة تنفيذ احكام الاعدام بخصومه مفضلا دوما تطبيق الاحكام العرفية وتعطيل الاحزاب واعلان حالة الطواري بوصفها طرقا اسهل في تنفيذ اجراءاته ضد الخصوم وهي اجراءات سرعان ما كان يتم تلافيها وانهائها بأسرع وقت، وكانت اجراءات مثل الابعاد والنفي للخصوم الى مناطق محددة ونائية او اصدار احكام بالسجن او الحبس لبضع سنوات هي الاخرى سرعان ما كان يرافقها قرارات بالعفو وعودة المشمولين بها لمزاولة نشاطاتهم السياسية، سياسات مثل الفصل والابعاد عن الوظيفة او من المقاعد الدراسية قد تمت ممارستها ايضا ولكن بحدود مع التراجع عنها بعد مضي وقت قصير.

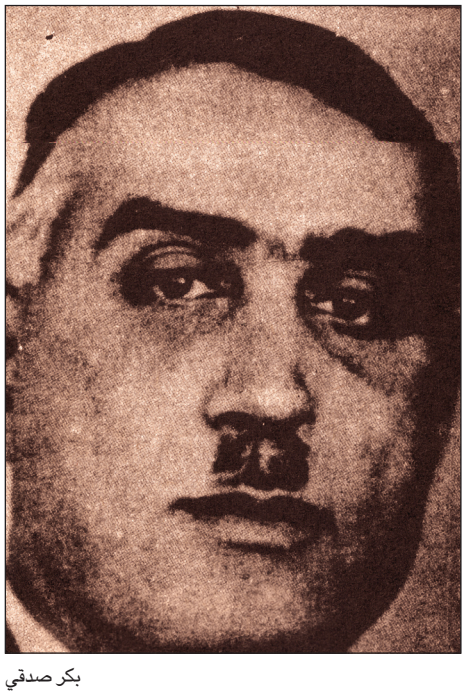
بكر صدقي

نوري السعيد

عبد الاله

هل كان نوري السعيد وراء مقتل رستم حيدر؟

ازهر الناصري

هناك قولٌ مأثور للمناضل الانساني المهاتماغاندي كل سمكتين تخاصمتا في البحر قل هذا من صنع الانكليز كذلك كان في العراق ايام الحكم الملكي لا يسلم نوري السعيد من الاتهام في مقتل السياسيين مثل مقتل بكر صدقي او مقتل الملك غازي وكان احدهم رستم حيدر: رستم حيدر شاب عربي من مدينة بعلبك بلبنان ومن اسرة كريمة معروفة وقد تثقف ثقافة عصرية اذ درس في باريس والتحق بالثورة العربية الكبرى في اواخر ايامها فاتخذه الملك فيصل كاتما لاسراره اولا في اموره حتى تاريخ وفاته وقيل انه (دماغ فيصل المفكر) كما كان قوميا عربيا مستقيما، ذكر ناجي شوكت في مذكراته في يوم لا اتذكره بالضبط اقام السيد حمدي الباجة جي مأدبة عشاء حضرها لفيف من الاعيان والنواب والوزراء وكان بين المدعوين نوري السعيد ورستم حيدر سمعت اصواتا مزعجة وضوضاء في الغرفة المجاورة للغرفة التي كنت فيها ولما كنت ضعيف السمع سألت من كان بجانبي عن مصدر الاصوات؟ فرد عليه ان صبيحا كان ثملا وصار يتحدى رستم حيدر بقوله له (لماذا لاتذهب الى بلادك؟ انت (الكذا والكذا) وبعد شتم وتقريع تدخل البعض وتفرق المدعوون. ويذكر ناجي شوكت ولما سمعت باطلاق الرصاص على رستم وهو مكتبه بديوان وزارة المالية يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ تذكرت الشجار الذي حصل في دار حمدي الباججي وكان مطلق الرصاص كان مفوضا للشرطة يدعى حسين فوزي وقد فصل من الخدمة لاسباب لا علاقة لرستم بها. وبينما كان التحقيق مستمرا على هذا النحو لان القاتل معروف بالجرم المشهود، اذا بنوري السعيد يختلي بالقاتل في مركز الشرطة، ثم امر بالقبض على جماعة بينهم ابراهيم كامل وعارف قفطان وصبيح نجيب وشفيق توري السعيدي، فاختلف الوزراء فيما بينهم وادى الخلاف الى استقالة الوزارة، وتقرر ان تؤلف الوزارة الجديدة برئاسة نوري السعيد ايضا ، فقد اصر كل من رئيس اركان الجيش حسين فوزي وامير اللواء امين العمري ان لا يدخل الوزارة نوري السعيد. فاستطاع نوري السعيد ان يستصدر ارادة ملكية باحالة كل من الفريق حسين فوزي واللواء امين العمري والعقيد عزيز ياملكي على التقاعد، وقد ألف الوزارة الجديدة اشترك معه طه الهاشمي في المسؤولية ثم احال قاتل رستم حيدر على المحاكمة ونفذ فيه حكم الاعدام. ولقد قيل الكثير في موضوع مقتل رستم، قيل ان نوري السعيد بعد ان قضى على خصومه السياسيين الواحد بعد الاخر بالقتل والسجن والابعاد عن المناصب الوزارية. ولم يبق من ينافسه على الزعامة.

وبعد ذلك اجتمع في ديوان رشيد عالي في البلاط الملكي، فقد اجتمع رؤساء الوزراء السابقون على مقابلة الوصي، وتقديم احتجاج على تصرفات نوري السعيد وتدخله في التحقيقات الجارية في مقتل رستم والمحاكمات بحق المتهمين وبينما كان المجتمعون في غرفة رئيس الديوان اقبل نوري السعيد غاضبا متهيجا، وقد وجه خطابه الى جميل المدفعي وقال له بشدة وانت ايضا هنا؟ من انت لتحتج عليّ؟ لو لم اكن انا لما كنت الا متصرفا لما كنت.

فلم ينبس جميل ببنت شفه، وانما ترك الديوان وذهب.

رستم حيدر

قـــانـــونـــان خـــطـــيـــران

د. قاسم جبر السوداني

القانون الاول

قررَ مجلس الوزراء العراقي في جلسته المنعقدة في ٦/تشرين الثاني ١٩٣٠ ما يلي: تخفيض رواتب الموظفين ومخصصاتهم بنسبة (أنة) واحدة من كل (ربية) عن كل راتب لا يتجاوز المائة (ربية) و(آنة) ونصف من كل (ربية) عن كل راتب يتراوح بين ١٠٠-٣٠٠ (ربية) و(آنتين) من كل (ربية) عن الرواتب التي تتجاوز الـ(٣٠٠) (ربية) تخفيضاً للضائقة الاقتصادية.

وهذه العملية توفر للخزينة العراقية نحو ٢٠ (لكاً) من الربيات في السنة وقد وضعت الحكومة لائحة قانونية بهذا التحقيق ورفعتها الى المجلس النيابي لابرامها، واقرها المجلس النيابي بجلسته في ٢٧/ تشرين الثاني ١٩٣٠ ثم ارسلت الى مجلس الاعيان ليقرها. وقد احتج (المعتمد السامي البريطاني) على تشريع هذا القانون لشموله رواتب بعض الموظفين الاجانب الذين يخدمون بعقود خاصة، والتمس من الملك فيصل ان لا يقر القانون.

واعاد الملك فيصل القانون الى الحكومة لتعيد النظر فيه ووضعت الحكومة قانونا بدلا ينص على تخصيص الرواتب والمكافات التقاعدية بنسبة ٥ في المائة الاولى و٦ في المائة الثانية و٨ فما فوق ذلك. على ان يسري مفعول هذا القانون لمدة خمسة اشهر تنتهي في ١٣ آذار ١٩٣١ ولا يشمل رواتب الموظفين الاجانب.

واعلن وزير المالية في الجلسة النيابية ان صاحب الجلالة الملك تبرع بقطع عشرة في المائة من مخصصاته ليسهم في التخفيف عن الخزينة وناشد النواب والاعيان بوجوب الاشتراك في هذا التخفيف فاعلن النواب انهم يضحون بـ ٦٪ من مخصصاتهم ثم تقدمت الحكومة بلائحة جديدة في ٣١/٣/١٩٣١ تقضي بتخفيض الرواتب التقاعدية والمخصصات بنسبة ٥٪ فقبلت اللائحة واستمرت نافذة المفعول الى ٣١/٣/١٩٤١ فكان لهذا العمل بعض التأثير على تخفيف الضائقة المالية التي كانت تشكو ها البلاد.

القانون الثاني

استخدمت (حكومة الاحتلال البريطانية) عدداً كبيراً من العراقيين في الوظائف والمنشآة على عهد الحكومة المؤقتة المؤلفة عام ١٩٢٠ دون ان تكون لدى هؤلاء المستخدمين المؤهلات اللازمة للتوظيف، سواء اكان ذلك من الوجهة العلمية ام الاخلاقية لان معظم ابناء الطبقة المتعلمة والاسر من ابناء البلاد كان (يستنكف) الخدمة في الحكومة التي انشأها الاحتلال، والبعض الآخر كان لايزال خارج العراق وقد زاد هذا العدد زيادة كبيرة على عهد الانتداب يوم كان التلويح بكرسي الوظيفة يفقد الرزين رزانته وينسي التاجر تجارته. ويهمل المزارع زراعته فامتلأت دوائر الدولة باناس لايمتون الى العلم والفضيلة والكفاءة بشيء وصارت الوزارات المتعاقبة تفكر في ضرورة تطهير دوائر الدولة من الذين اثبتت التجارب عدم لياقتهم للخدمة وكذلك من الذين لم تبرهن الايام على نزاهتهم وصادق المجلس النيابي يوم ٢٢/١/١٩٣١ على (قانون ذيل قانون انضباط موظفي الدولة) وقد نصت مادته الاولى على ان: "لمجلس الوزراء بناء على توصية الوزير المختص ان يصدر قراراً بفصل اي موظف يعتقد المجلس بعد تدقيق سجله ان بقاءه في الوظيفة مضر بالمصلحة العامة بسبب سلوكه الشائن او تمرده او كسله غير قابل الاصلاح او اهماله المتكرر او عدم مقدرته الثابتة على القيام بواجباته".

وكان هذا القانون افضل وسيلة لتطهير دوائر الدولة من الاردان التي التصقت بها، لو جرى تطبيقه بعدل وانصاف، ولكن الاهواء السياسية والمصالح الشخصية لعبت فيه دوراً خطيراً، ففصل من الخدمة عدد كبير من الابرياء الذين اضطرت الوزارات المتعاقبة الى ان تعيدهم الى الخدمة بأساليب مختلفة.

أشهر الأبواب في بغداد

مهدي حمودي الانصاري
كاتب عراقي

منْ اشهر الابواب في بغداد، باب الشيخ، باب المعظم، الباب الشرقي، باب السيف، باب الاغا، باب الدروازة، باب بغداد في الكاظمية شارع المحيط.

ومن الابواب ايضاً الباب الوسطاني في منطقة الشيخ عمر ببغداد ويقول شيخ المعماريين الاستاذ محمد مكية:

عماد العمارة البغدادية

× باب المنزل.
× باب المحلة.
× باب الحي.

وامثال البغاددة في الباب

× الباب التجيك منها ريح سدها واستريح.
× الباب توسع جمل.
× اللي يدك الباب يسمع الجواب.
× سد بابك وامن جارك.
× متلازمة من الباب للمحراب.
× اللي يدك باب الناس يدكون بابه.
× لا تفك الباب الماتكدر تسدها.
× ميندل باب بيته.
× لابس باب الحوش ومطلع ايده من الروازين.
× باب النجار مخلوعة.
× الباب ما تفتح الا بالمفتاح.
× باب بغداد تنسد وحلوك الناس ما تنسد.

وفي اقوالهم... مثل خبز باب الاغا مكسب وطيب ورخيص.

من يوميات السياسي الراحل حسين جميل

الاضراب ضد قانون رسوم البلديات

في 14 حزيران – يونيه – 1931 نشرت الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية قانون رسوم البلديات رقم 86 لسنة 1931 وفيه انه ينفذ من تاريخ نشره. عين القانون رسوماً تستوفيها امانة العاصمة في بغداد، والبلديات في خارجها على منح اجازات حرف معينة رسوماً شهرية تؤخذ من محترفي مهن، هي كل المهن التي تمارس في العراق. حتى ان الصنائع والمهن التي لم يذكرها القانون في جدول الرسوم، يؤخذ عنها رسم يعادل الرسم الذي يستوفي عن الصنائع والمهن المماثلة والمتقاربة المذكورة في الجدول كما قرر القانون.

هذا على ان القانون جوز للبلديات ان تستوفي الرسوم المبين في الجدول كلها او بعضها، فوض وزير الداخلية ذلك (م٢) وفوضت مجالس البلديات ان تقرر المقدار الذي يستوفي فيه كل رسم بنسبة حصته.

وخول القانون وزير الداخلية قبول قرار المجلس البلدي او تعديله بشطب بعض الرسوم او تنزيل نسبتها وتعيين التاريخ الذي تستوفي فيه (م٥).

بالنظر للازمة الاقتصادية التي عمت العالم ومنه العراق في سنة ١٩٢٩ الى حوالي سنة ١٩٣٣، فان ممتهني الحرف والصنائع في بغداد، بتاثير هذه الازمة اجتمعوا في مقر "جمعية اصحاب الصنائع في العراق"، في يوم ٢٧ حزيران ١٩٣١ وكتبوا عريضة الى وزير الداخلية اشاروا فيها الى صدور قانون رسوم البلديات وقالوا عن هذا القانون انه "يقضي باستيفاء الرسوم المعينة فيه من اصحاب الصنائع وغيرهم الى اخر ما جاء فيه، الامر الذي ادهشنا وجعلنا نفكر بشدة الضرائب المفروضة علينا وتعذر دفعها في الوقت الحاضر بالنظر الى ما اصاب البلاد من الضيق المالي وعدم الكسب في جميع المعاملات. ولما كنا نعتقد ان حكومتنا مطلعة على الضائقة وعلى الفقر الذي اصابنا من جراء البطالة لعدم تمكننا من الحصول على ما نسد به حوائجنا الضرورية، جئنا بهذه العريضة مسترحمين من عدل الحكومة الاهتمام بمصالح العباد، راجين النظر الينا بعين الرافة. فقدروا الحالة الحاضرة ووخامتها ومدوا الينا يد المساعدة لتنقذونا مما وصلنا اليه بسبب هذا الضيق المالي الذي استولى علينا. واذ نحن ننتظر الرأفة بتخفيف الضرائب السابقة، اذ فوجئنا بضريبة الدخل الشديدة الوطأة التي لو طبقت احكامها بحقنا لاوصلتنا الى درجة الهلاك، واخيرا طالبوا بعدم تنفيذ قانون رسوم البلديات في حقنا".

وانتخبوا وفداً منهم قابل وزير الداخلية وقدم اليه العريضة وكان الموقعون عليها رؤساء ثلاثة عشر صنفاً.

كان وزير الداخلية يومذاك مزاحم الباجة جي انتقل اليها من وزارة الاقتصاد والموصلات في ٢٦ نيسان ١٩٣١. وقد ابدى لوفد اصحاب الصنائع والحرف "ان الرسوم الموجودة في الجدول الملحق بالقانون رسوم لا تجبى، ولكن تتضمن اقصى حد يمكن للبلديات بالقانون من الرسوم، والرسوم الحاضرة تبقى الى ان تشكل مجالس البلديات التي هي مجالس اهلية وتنظر في امر هذه الرسوم، وعندئذ تتقدم باقتراحاتها الى وزير الداخلية، ووزير الداخلية له صلاحية واحدة هي التخفيض، والحكومة العراقية لم تسن حتى الان قانوناً يراعي مصلحة ارباب المهن والصنائع والحرف مثل هذا القانون..."، (من اقوال مزاحم الباجةجي في جلسة مجلس النواب في ١٩/١١/١٩٣١). وقال في هذه الجلسة ايضاً "انه عندما قابل رؤساء الحرف وارباب المهن وعدهم المواعيد وافهمهم القوانين وطلبوا مني ان اوعز الى امانة العاصمة ان تعمل بصلاحيتها فوافقت وحالا طلبت منها ان تستعمل الصلاحية التي خولها اياها القانون، وان تقترح التخفيضات والشطب الموافق للحالة حتى اصادق عليه بدوري واخفض واشطب بعض الاقلام التي تجبى زائداً".

والذي حدث بعد هذا ان اجتمع العمال في جمعية اصحاب الصنائع في بغداد وقرروا الاضراب العام اعتباراً من ٥ تموز ١٩٣١ وان لا يدوم اكثر من ثلاثة ايام.

كتب محمد صالح القزاز مؤسس ورئيس جمعية اصحاب الصنائع وابرز الشخصيات العمالية التي عملت في هذا الاضراب، كتب عن سبب الاضراب انه "بعد الاختلاف بين مديرية السكك الحديدية وجمعية اصحاب الصنائع واضراب عمال السكك الحديدية الثاني، ومسالة قرار امانة العاصمة منع الباصات الكبيرة من السير في الشارع العام [شارع الرشيد اليوم] وطلبات العمال البطالين. في وسط هذا اليأس المستولي على العمال نشر قانون رسوم البلديات رقم ٨٦ لسنة ١٩٣١ الذي كان يقضي على عموم اصحاب الصنائع والعمال بدفع مبالغ شهرية لا قبل لاكثرهم على تاديتها. واعتقد المكلفون ان الذي سيطبق منها هو الحد الاعلى، الامر الذي دعى العمال ان يجتمعوا فيما بينهم في جمعية اصحاب الصنائع وقرروا مراجعة الحكومة والطلب اليها لالغاء الرسوم ا لمستحد ثة في القانون ا لمذ كو ر و تخفيض ا لر سو م ا لسا بقة بالنظر لقلة الكسب، وايجاد حل مرضي لتسوية مطاليب العمال واحلال البطالين منهم بدل ا لا جا نب في الشركات، ولما لم يحصلوا في مراجعاتهم العديدة الا على المواعيد والمماطلات، قرروا الاضراب العام اعتباراً من ٥ تموز ١٩٣١ قاصدين ان لا يدوم اكثر من ثلاثة ايام وموطدين العزم على محافظة الامن والنظام".

بدأ الاضراب في بغداد وضواحيها في يوم الاحد ٥ تموز، وانقل عن جريدة اخبارية مستقلة هي اقرب الى الحكومة منها الى المعارضة، وصفها للاضراب في يومه الاول. قالت العالم العربي في عدد ١٩٣١/٧/٧ .

"بدأ الاضراب العام في العاصمة وضواحيها صباح الاحد الماضي فاصبح السكان واذا بالاسواق خالية والدكاكين والمخازن والمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي ودور السينما والصيدليات وجميع اماكن البيع والشراء مقفلة، وقد اضرب جميع اصحاب المهن والصنائع على الاطلاق، فكان الاضراب عاماً بكل معنى الكلمة، حتى ان وسائط السير والنقل ايضاً انقطعت ولم تظهر سيارات الاجرة والعربات الا عند العصر بعد ان نشرت الحكومة بياناً رسمياً افهمت فيه اصحاب السيارات انها تنظر في سحب اجازاتهم اذا لم يستانفوا العمل حالا. وكذلك فتحت الصيدليات بعد نشر البلاغ الرسمي.

"وقد عم الاضراب العام بعض ضواحي العاصمة كبلدة الاعظمية وغيرها، اما الكرادة الشرقية فلم تضرب انما بقيت قسماً كبيراً من النهار منقطعة عن العاصمة بسبب اضراب السيارات فانفسح المجال حينئذ للزوارق النهرية فاشتغلت قليلا اما بلدة الكاظمية اضربت نهار امس الاثنين ولم يحدث اثناء الاضراب ما يخل بالامن.

امتد الاضراب الى كثير من مدن العراق في مختلف مناطقه الى ان انتهى في ١٨ تموز ولا يدخل في نطاق مواضيع هذا الكتاب بحث احداث هذا الاضراب، وقد كان بودي ان افعل باعتبار انه حركة شعبية شاملة ومنظمة وداعية، الا ان الاضراب لاسباب مسيرته وتفاصيل احداثه من السعة بحيث يتطلب كتاباً.

وقد دونت كل الصحف الصادرة في ايامه وبعض المراجع الاخرى احداث ومسيرة الاضراب، فمن شاء ان يتعرف على ذلك فبوسعه ان يفعل بالرجوع الى المصادر والمراجع المتعددة في هذا الشأن.

وما اقصد ان اكتب فيه ما يدخل في مخطط هذا الكتاب باستطلاع النشاط المشترك الذي مارسه الحزبان المعارضان (الوطني والاخاء الوطني) في موضوع هذا الاضراب، اولا لانهما حزبان معارضان يستهدفان اضعاف الوزارة بنقد اعمالها وتصرفاتها التي لايقرانها، وهذا ينضاف الى اسباب اخرى قد تؤدي الى سقوطها، وثانياً لان هذا النشاط المشترك هو نتيجة من نتائج العمل المشترك الذي قرر الحزبان في وثيقة التاخي القيام به، والحديث في هذا سوف يعرض بعض احداث الاضراب ومسيرته.

قرار الاضراب اتخذ من قبل جمعية اصحاب الصنائع والجمعيات العمالية والاصناف:

نشر محمد مهدي كبة في سنة ١٩٦٥ مذكراته بعنوان "مذكراتي في صميم الاحداث"، وقد كان وقت حدوث هذا الاضراب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الوطني وبعد ان اشار في مذكراته الى صدور قانون رسوم البلديات كتب "ان الحزب الوطني قدم احتجاجاً على الزيادات بناء على طلب من يعنيهم امر هذه الرسوم من اصحاب المهن المختلفة مطالباً الحكومة بالغائها، ولما لم تستجب الحكومة لرغبة الناس في الغائها، دعا الحزب الى الاضراب العام فاستجاب ابناء الشعب لهذه الدعوة واضربوا اضراباً عاماً شاملا ولم يتخلف عنه احد. كما سرت موجة من الاضراب الى الحواضر العراقية لاسيما التي كان للحزب فروع فيها".

وهذا الذي نجده في مذكرات مهدي كبة بقوله ان الحزب الوطني هو الذي دعى الى الاضراب غير صحيح، وابين في الفقرات التالية ما استند اليه في هذا الشأن وحقيقة موقف حزب المعارضة من الاضراب.

كنت في بغداد منذ ٢ تموز ١٩٣٠ وفي الوقت الذي وقع فيه هذا الاضراب كنت اعمل محامياً في مكتب ابن عمي المحامي عبد العزيز جميل في بغداد، وكان يتردد علي في المكتب مكي الاشتري رئيس جمعية تعاون الحلاقين وكنت اتردد عليه في دكانه للحلاقة، وكان في شارع الجسر القديم – شارع المأمون اليوم – وهو من العناصر البارزة والفعالة في نشاط العمال وفي حركة الاضراب هذا، وكان يخبرني بمقدمات ازمة قانون رسوم البلديات ومسيرة الاحداث التي ادت الى تقرير الاضراب الى ان انتهى. واعلم ان قرار الاضراب اتخذ من قبل اصحاب الصنائع والحرف والمهن والعمال.

نشر محمد صالح القزاز رئيس جمعية اصحاب الصنائع بياناً نفى فيه ان يكون لهذه الجمعية اية صلة بحزب سياسي. وجمعية اصحاب الصنائع هي التي قادت الاضراب، في مقرها كانت تعقد اجتماعات اصحاب الحرف والعمال وتتخذ القرارات بدءاً من قرار الاضراب والى الاخير حتى انتهى، قال في هذا البيان الذي نقله من جريدة اعالم العربي عدد ٢٤ تموز ١٩٣١:

"اتصل بنا ان بعض الجهات تفكر ان جمعيتنا لها صلة او تابعة لبعض الاحزاب السياسية، ولما كان الواقع غير ذلك، ولما كانت الجمعية ليست لها اية صلة رسمية مع أي حزب كان،

وان غرضها الاسمى خدمة الطبقة العاملة والسعي لرفاهها والمطالبة حول استخدام العمال لعراقيين البطالين ووضع انظمة خاصة لحماية العمال في هذا البلد. بادرنا بنشر هذا البيان لنحيط العموم علما من ان هذه الجمعية قائمة بنفسها تعمل كل ما ترتأيه لمصلحة الطبقة العاملة التي اسست لمساعدتها. وان الاحزاب السياسية حكومية كانت ام معارضة لن تؤثر على الجمعية، اذ للجمعية خطط معينة مبينة في انظمتها تسعى لتنفيذها سواء وافقت مناهج الاحزاب ام عارضتها. على ان ذلك لا يمنعها من طلب المساعدة والمعونة من رجال الحكومة ومن رجال البلد المخلصين الذين تعتقد بحسن نيتهم واخلاصهم لقضايا العمال.

محمد صالح القزاز
رئيس جمعية اصحاب الصنائع في العراق

وعندما نشرت جريدة العالم العربي ترجمة للتقرير البريطاني عن ادارة العراق لسنة ١٩٣٠، وفي هذا التقرير بعد ان تذكر صدور قانون رسوم البلديات تاتي جملة تقول ان "ندا تغلب]بصيغة لمبنى المجهول[جمعيات اصحاب الصنائع في بغداد وفي محلات اخرى في تكوين جبهة معارضة من الاهلين للمشروع". وفي هذا التقرير ايضاً انه "في ٥ تموز تمكنت نقابات العمال يعضدها الحزبان المعارضان الحزب الوطني وحزب الاخاء في اغلاق جميع الحوانيت والاسواق في بغداد وايقاف الباصات والتاكسيات والعربات"، عندما نشرت العالم العربي ترجمة هذا التقرير ارسل محمد صالح القزاز بصفته "المعتمد العام لجمعية اصحاب الصنائع - المقفلة - ولجنة المفاوضة في الاضراب العام بيانا طويلاً رد به على التقرير البريطاني، اقتبس منه الفقرات التي تنفي وجود علاقة لاي حزب من الاحزاب السياسية باتخاذ قرار الاضراب، قال في رده "اجتمعت برفقائي الذين كانوا يؤازرونني في تسيير شؤون جمعية اصحاب الصنائع في العراق المقفلة التي قمت بتاسيسها وتراست ادارتها الى ان اغلقت للمرة الثانية فرايتهم جميعاً يستنكرون معي هذه النقطة ويرغبون في نشر ما يدحض هذه الوصمة التي الصقها التقرير البريطاني بالعمال وجمعيتهم"، وقال في بيانه "جئت بهذه الكلمة لاعلن الحقيقة للراي العام ومن يهمهم الامر كي يتاكدوا ان جمعية اصحاب لصنائع لم تتمكن أي جهة من الجهات التاثير عليها يوماً ما، وكانت تنظر لجمع الاحزاب - المعارضة والحكومية- بنظرة واحدة ولا تميز بين افرادها الا بقدر ما يتميز به كل شخص منهم من الاشتغال للصالح العام، وكان رائدها في جميع اعمالها مساعدة العمال واصحاب الصنائع الذين اسسوها للدفاع عن حقوقهم المصانة في هذا البلد، واحد العوامل التي ادت الى اعلان الاضراب العام لم تكن كما جاء في التقرير موضوع البحث، وان حدوثه كان بقرار جمعية اصحاب الصنائع ومن ازرها من الجمعيات والاصناف بدون ان يكون لاي حزب من الاحزاب السياسية دخل بينهم.

وبعد ان يذكر مقدمات الاضراب ولماذا تقرر وقد سبق الحديث في هذا، يقول بيان القزاز "فيما مر ذكره يتبين ان اسباب الاضراب لم تكن لاغراض سياسية انما كانت لعوامل سبق ذكرها، وان جمعية اصحاب الصنائع لم تكن مستغلة كما ذكر التقرير البريطاني في تكوين جبهة معارضة من الاهلين، واننا لم يخطر على بالنا ان الحزبين المتآخيين احتاجا في يوم من الايام الى مساعدة جمعيتنا في عمل ما، وان قيام جمعية اصحاب الصنائع تنظيم اضرابين لعمال السكك والاضراب العام لعدم اجابة مطاليب العمال وتخفيض الرسوم الباهظة المفروض عليهم تأديتها وعدم قيامها بتنظيم أي اضراب ضد أمور لا تختص بالعمال مباشرة كالمعاهدة وغيرها من الامور التي قاومها المعارضون اشد من مقاومتهم لقانون رسوم البلديات لدليل قاطع على ان الجمعية المذكورة لم تعمل الا لمصلحة العمال وفق الخطة المرسومة لها منذ تاسيسها وهي بعيدة عن التحزبات او التأثر بالاهواء والشخصيات".

نشاط الحزبين العارضين في ازمة قانون رسوم البلديات والاضراب العام:

يبدو ان من ربط بين قرار القيام بالاضراب ثم مسيرة احداثه، وبين الحزبين المعارضين - الوطني والاخاء الوطني - على مختلف مديات هذا الربط بان نسبة الى الحزبين انهما اتخذا قرار الاضراب واصحاب الصنائع والحرف والعمال نفذوه الى ما هو دون ذلك من العلاقة بين الجهتين - الاضراب والحزبين - مثل تشجيع اتخاذ قرار الاضراب او الدعوة الى استمراره، وما هو دون ذلك من ربط بين الجهتين. اقول انه يبدو ان سبب هذا الربط هو نشاط الحزبين في موضوع قانون رسوم البلديات، فالاضراب واحداثه ومسيرته. في حين ان نشاط الحزبين في هذا الموضوع نشاط اعتيادي وطبيعي بالنسبة لحزبين سياسيين لاسيما اذا كانا في المعارضة - باعتبار ان قانون رسوم البلديات واحكامه شأن عام يهم جميع المواطنين، والاضراب حدث مهم وقع في المجتمع العراقي ويجب ان يكون لكل حزب سياسي موقف من الامرين، القانون والاضراب. والحزبان المعارضان اذا كانا لهما راي سلبي بقانون رسوم البلديات فلا بد ان يبديا هذا الرأي، واذا كانا يريان ان اصحاب الصنائع والحرف والعمال محقون باعلان الاضراب وسيلة لحمل السلطة على اجابة مطاليبهم، فلا بد ان يؤيدا الاضراب وكل هذا لا يعني انهما اوحيا بالاضراب او عملا على وقوعه او استمراره، وفي الفقرات التالية اشير الى ابرز النشاطات التي قام بها الحزبان في هذا الموضوع.

بعد ان قدم اصحاب اصحاب الصنائع والحرف مذكراتهم المؤرخة ٢٧ حزيران ١٩٣١ الى وزير الداخلية، عقد الحزبان في ٣ تموز اجتماعاً كان في مقر حزب الاخاء الوطني خطب فيه رشيد عالي الكيلاني معتمد حزب الاخاء بين فيه تاريخ وضع قانون رسوم البلديات، وان ذلك كان في سنة ١٩٢٧ وعدل في اواخر سن ١٩٢٨، وعندما ظهرت بوادر الازمة الحالية اهمل ولكن الوزارة الحاضرة اصدرته دون ان تدخل على جدول الرسوم أي تعديل محسوس.

نشرت جريدة الاخبار - وهي من جرائد حزب الاخاء في ٦ تموز - اليوم التالي لبدء الاضراب - مقالا افتتاحياً بعنوان "الاضراب العام" قالت فيه انه "قصد جمهور غفير من المضربين بناية المركز العام لحزب الاخاء الوطني ودخلوها فاكتضت بهم، والقى سعيد الحاج ثابت]عضو اللجنة المركزية للحزب الوطني[كلمة والقى احد العمال كلمة اطرى فيها الاتحاد والتكاتف وتوحيد كلمة الشعب في النظر بمصلحته وتخفيض هذه الضريبة عن كاهله. وبعد ذلك صعد فخامة ياسين باشا الهاشمي الى الشرفة وخاطب الجموع المحتشدة بكلمة جاء فيها: "نحن معكم نستنكر صدور قانون رسوم البلديات على هذا الوجه، وقد ايدتم استنكاركم لهذا القانون باضراب المدينة باجمعها اليوم، فشكراً لكم على هذا المظهر وشكراً لكم على ما وضعتم من الثقة في الحزبين المتآخيين.

بتاريخ ٧ تموز قدم الحزبين الى نائب الملك (كان الملك فيصل قد غادر العراق الى تركيا في ٤ تموز اليوم السابق للانذار وعين الملك علي ملك الحجاز السابق نائباً عن الملك)، وقالت المذكرة بعد ان اشارت الى الاضراب والمحافظة فيه عل الامن والنظام قالت: "ومما يستلفت الانظار ان المضربين كانوا على افضل ما يكون من الدعة والسكون في غدوهم ورواحهم، ولما كانت ادارة الاحزاب مفتوحة في وجوه الناس ليستعينوا باراء رجالها لايصال احتجاجهم الى المراجع المختصة، ومن بواعث الاسف ان تصرفات الشرطة كانت قاسية الى حد بعيد، وكانت خارجة عن حدود الواجب والوظيفة وقد راينا قسماً من الذين يسمونهم رجال الامن العام يدخلون بنايات الاحزاب بالرغم منها ويسيئون الى الناس المنتسبين وغير المنتسبين، الداخلين فيها والخارجين منها ويضربوهم بسياطهم ضرباً موجعاً، ومن الغريب ان يشترك مدير شرطة اللواء بنفسه في هذه الوقائع المؤسفة، ومن المؤلم ان توقف السلطة جماعة من الابرياء الذين لم تصدر منهم اية حركة تدل على مخالفة قانونية تسبب توقيفهم وحرمانهم من القوت".

ملاحظة: حزب الاخاء الوطني الذي قدم هذه المذكرة جاء الى الحكم في ٩ ايلول ١٩٣٣ أي بعد حوالي سنتين من تاريخ مذكرته هذه وشكل وزارة برئاسة معتمده رشيد عالي الكيلاني ومنها اقطاب الحزب (ياسين الهاشمي وحكمة سليمان ومحمد زكي وعبد المهدي)، ولم يعدل قانون رسوم البلديات بتخفيض الرسوم التي قال عنها بمذكراته انها "مازحة".

وقدم الحزبان مذكرة ثانية الى نائب الملك مؤرخة في ١٠ تموز ١٩٣١ جاء فيها:

"لقد استمرت التصرفات المغايرة لاحكام القوانين بالرغم من الاضراب المستمر في العاصمة بصورة عامة وفي الانحاء بصورة متفرقة، ودأبت الوزارة بافادتها وتقارير دعايتها على اسناد اسباب الاضراب الى الاحزاب السياسية المعارضة، ولهذا السبب قد اوقفت اعضاء فرع الحزب الوطني في لواء ديالى وارسلتهم مكبلين الى بغداد، واوقفت ثمانية من المنتمين الى الحزب في سامراء.. وكذلك اصدر وزير الداخلية أمره بتوقيف رؤساء الحرف وسد جمعيتهم حينما قدم له نسخة من عريضة المطاليب.

بيان بانهاء الاضراب:

في يوم ٨ تموز نشرت الصحف بيانا "مورخا "في ٧ تموز اصدره ثمانية عشر رئيسا "من رؤساء جمعيات المهن روساء الاصناف دعوا فيه الى انهاء الاضراب ابتداءا "من مساء هذا اليوم، ابتداءا "من ٧ تموز جاء فيه: بما ان الحكومة في الاجتماع الذي عقد مساء الاثنين ٧ تموز ١٩٣١ عند الساعة التاسعة زوالية تعهدت على لسان معالي وزير الداخلية ووكيل فخامة رئيس الوزراء وسعادة امين العاصمة ومتصرف اللواء بان معالي وزير الداخلية بناء على صلاحياته سيوعز الى السلطات البلدية ان تنظر بنظر الاعتبار الحالة الاقتصادية وتقرير ما تراه من الغاء بعض الضرائب وتخفيض القسم الاخر بصورة تتناسب مع رغبات الاهلين والضائقة الحالية.

وبما ان الاتفاق مع الحكومة قد تم بتلك الصورة، جئنا بهذا البيان داعين الشعب العراقي المضرب عن العمل استئناف اعماله ابتداءاً من مساء هذا اليوم، وقد تألفت لجنة من ممثلي الجمعيات المجازة قانوناً قوامها معتمد وعضوان وهم (محمد صالح القزاز - رئيس جمعية اصحاب الصنائع في العراق - وعلي الاشتري - رئيس جمعية تعاون الحلاقين، والسيد حسون ابو الجبن سكرتير جمعية البقالين) لمراجعة الحكومة ومفاوضتها في تنفيذ تعهدها وستنشر اللجنة تعهدها بعد البت فيها.

واذ لم تبر الحكومة بتعهدها وتنفذ رغبات ارباب المصالح لا سمح الله فباستطاعة اصحاب الحرف والصنائع استئناف الاضراب واتخاذ كافة الوسائل المشروعة التي تجدها كافلة لتحقيق اماني الامة.

مساء الثلاثاء ٧ تموز - تواقيع ١٨ من رؤساء الجمعيات وقد نشرت جميع الصحف هذا البيان.

الاضراب لم ينته:

الاضراب لم ينته في يوم ٨ تموز واستمر في هذا اليوم في جميع مظاهرة كما كان من قبل، واذا رجعنا الى الصحف الصادرة في يوم ١٠ تموز نجد فيها خبراً يقول ان رؤساء الحرف والصنائع ومعتمدي رجال الاعمال اجتمعوا في جمعية اصحاب الصنائع بعد عصر اول امس (٨ تموز) وبعد ان بحثوا موضوع الاضراب انتخبوا من بينهم لجنتين تتكون من محمد صالح القزاز رئيس جمعية اصحاب الصنائع والسيد مهدي البير رئيس البزازين ومكي الاشتري رئيس جمعية تعاون الحلاقين وعبد الوهاب رئيس الصفارين ومصطفى الشامخي والشيخ سعود رئيس قصابي البقر وحسون ابو الجبن سكرتير جمعية البقالين ليعرضوا مطاليب اصحاب الصنائع والمهن والعمال على المراجع المختصة وحددوا هذه المطاليب بانها: (١) الغاء رسوم البلديات المستحدثة في القانون الجديد. (٢) تخفيض الرسوم السابقة. (٣) النظر في قضية العمال العاطلين واجابة مطاليبهم. (٤) اخذ عرائض اصحاب المصالح فيما يتعلق بضريبة الدخل بنظر الاعتبار وذلك بتاليف لجنة من قبل اصحاب المصالح لتقدير الارباح والاضرار. (٥) اطلاق سراح الموقوفين ايام الاضراب. (٦) الاحتجاج على منع الشرطة جماهير الناس من الاجتماع في المعاهد الدينية والمراكز السياسية.

تقول (فيب آن مار) ان العدول عن انهاء الاضراب كان تحت ضغط من ياسين الهاشمي وزعماء المعارضة، نفى مساء اليوم نفسه الذي يفترض ان يكون الاضراب قد انتهى فيه نقض قادة الاضراب قرارهم بانهاء الاضراب، وفي اليوم التالي قدموا قائمة بمطاليب جديدة تعكس بوضوح اكثر اهتمامات السياسيين، ومصدر فيب مار تقرير القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية الامريكية برقم ٨٩٠٩ وبتاريخ ١٤ تموز ١٩٣١ "PHEBE ANN MARR, YASIN AL-HASHIMI, THE RISE AND FALL OF ANATIONAL LIST P.٢١١."

ونجد في الصحف في اخبار اليوم السابع من الاضراب وهو يوم ١١ تموز انه كان عند العصر وبعده تجمعات على جوانب الجادة (شارع الرشيد اليوم) لاسيما قرب الميدان وحول مقري الحزبين الوطني والاخاء الوطني، وان الشرطة عملت على تفريق المجتمعين. وكان اركان المعارضة مجتمعين في مركز الحزب الوطني وعند خروجهم ركبوا ثلاث سيارات وكانوا جعفر ابو التمن وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني والشيخ رضا الشبيبي وحكمت سليمان وعلي جودت ومولود مخلص وكامل الجادرجي ومحمود رامز وعلي محمود وعبد الاله حافظ ومهدي كبة. وتكتب جريدة العالم العربي عدد ١٢ تموز وعنها انقل هذا الخبر انه "كان الوف من الناس مزدحمين هناك في شبه مظاهرة عظيمة فتعالى الهتاف من حول السيارات واشتد التحشد والازدحام فاقبل رجال الشرطة الخيالة والمشاة على تفريق الجماهير وقد وقعت سيول الناس على اثر شدة التفرق الى القعود على جسر الملك علي وجسر مود (جسر الاحرار اليوم).

وتستمر جريد العالم العربي في عرضها هذه الواقعة فتقول "واصل زعماء المعارضة سيرهم في السيارات الى قصر جلالة الملك علي الواقع في الكردة مريم، فرفعوا الى جلالته احتجاج الحزبين المتآخيين على اسناد الوزارة الاضراب الى الاحزاب المعارضة وايقاف بعض اعضاء فروع الحزب الوطني في بعض الالوية، وتوقيف بعض رؤساء الحرف والصنائع وسد مركز جمعيتهم. وان نائب الملك اجابهم انه لابد من ان يسمع بعد هذا راي الحكومة قبل البت في الامر، وطلب الى اثنين منهم ان يقابلاه صباح الغد، فذهبا امس وقابلا جلالته فابان لهما راى الحكومة.

ونجد في العالم العربي (عدد ٧/١٥) خبراً محلياً بعنوان "احتجاج" تذكر فيه ان جعفر ابو التمن ورشيد عالي الكيلاني قابلا نائب الملك واحتجا شفاهاً على ان الشرطة قبضت ثانية على محمد صالح القزاز ورفقائه بعد ان كانت المحكمة قد اطلقت سراحهم في نفس اليوم.

وفي ملفات البلاط الملكي الموجودة في مركز حفظ الوثائق في بغداد نجد تقريراً مؤرخاً في ١٩٣١/١١/٧ من متصرف لواء الديوانية (وكان مصطفى العمري) عن الاضراب الفقرة (٤) فيه بعنوان "علاقة الاحزاب السياسية بالاضراب جاء فيها: "انه وان كان لا يوجد للاحزاب السياسية فروع في هذا اللواء الا ان بعض الاشخاص المتظاهرين بالانتساب االى حزب الاخاء قد اشتركوا في الاضراب وحرضوا عليه، ومن جملة الدعايات التي بثت في ايام الاضراب الاخيرة ان دوام الاضراب سوف يؤدي حتماً الى سقوط الوزارة".

كل هذا ينفي ان يكون الحزبان المعارضان هما اللذان قررا هذا الاضراب او احدهما، الحزب الوطني كما قال مهدي كبة في مذكراته على الوجه الذي سبق اقتباسه انما يدل النشاط الذي استعرضنا مظاهرة ان الحزبين وافقا على وقوع الاضراب وايداه وشجعا على استمراره، وهذا امر طبيعي بالنسبة لحزبين لم يجد ضمانات اكيدة بان الرسوم ستكون في الحدود التي لا ترهق المكلفين، وهذا ايضاً امر طبيعي بالنسبة لحزبين معارضين تجاه حركة شعبية واسعة، قامت كل المظاهر التي تدل عل انها مؤيدة بمن يعنيهم الامر في كل انحاء العراق.

وفي موضوع بقي كون الحزبين او احدها اتخذ قرار الاضراب، تلاحظ انه حتى جريدة "صدى العهد "جريدة الحزب الحاكم، وكانت قد اعتادت ان تنسب كثيراً من حركات المعارضة ضد الوزارة الى انها من تحريك الحزبين المعارضين، غير انها في موضوع هذا الاضراب لم تقل ان الحزبين هما اللذان قررا القيام بالاضراب بل قالت انه "لم يبق من شك في ان المعارضين اشتغلوا كثيراً لاستغلال الاضراب الذي قام به ارباب المهن والحرف".

وقالت الجريدة في عدد ١٢ تموز انه "تكرر القول في استغلال حزب الاخاء الوطني للاضراب ضد الوزارة لانهم يحلمون بان هذا الاضراب ربما يؤدي بهم الى تحقيق احلامهم في التربع على الكراسي"، وفي عدد ١٣ تموز ان المعارضين "عملوا كثيراً ولا يزالون يعملون على تجريح وتعكير جو التفاهم بين الحكومة والمضربين".

من كتاب تاريخ العراقي السياسي ج2 الذي سيصدر قريبا

بعد ان قدم اصحاب اصحاب الصنائع والحرف مذكراتهم المؤرخة 27 حزيران 1931 الى وزير الداخلية، عقد الحزبان في 3 تموز اجتماعاً كان في مقر حزب الاخاء الوطني خطب فيه رشيد عالي الكيلاني معتمد حزب الاخاء بين فيه تاريخ وضع قانون رسوم البلديات، وان ذلك كان في سنة 1927 وعدل في اواخر سن 1928، وعندما ظهرت بوادر الازمة الحالية اهمل ولكن الوزارة الحاضرة اصدرته دون ان تدخل على جدول الرسوم أي تعديل محسوس.

لميعة توفيق

صـــوت مـــن الـــزمـــن الـجـمـيـل

جميل المشاري

لميعة توفيق مطربة عراقية ولدت في بغداد عام ١٩٣٧ وهي واحدة من مطربات بغداد الشهيرات التي كانت تغني باللهجة البغدادية . نشأت في وسط فني يحب الغناء الريفي. أكملت دراستها الثانوية في مدرسة الكرخ ثم دخلت مدرسة الموسيقى عام ١٩٥٠ وتخرجت في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٥٩، وعندما عرفت بحلاوة صوتها تقدمت إلى الاذاعة عام ١٩٥٣ وغنت عدد كبير من الاغاني ، وعندما بدأ بث تلفزيون بغداد عام ١٩٥٦ قدمت الكثير من الحفلات التي جعلت صوتها و لونها الغنائي معروفاً ، سافرت إلى الكثير من الاقطار العربية و الاوروبية في ذلك الوقت لتحيي حفلاتها.. صوت قوي النبرات ريفي النكهة مدني الصدى.. حالفها الحظ فأحتفظ التلفزيون العراقي لها بأغنيات مصورة تعد على أصابع اليد،

اهتمت بالغناء على خشبة المسارح الليلية أكثر من اهتمامها بالغناء الإذاعي، طبقتها الصوتية عالية جداً وخزينها من الأغاني الإذاعية لا يتجاوز الخمس و الثلاثين أغنية بالرغم من رحلتها الطويلة مع الغناء، وهي تجيد الغناء لأطوار الأبوذية و السويحلي و النايل بشكل جيد وجميل، لكنها ظلت حبيسة المسارح، وقد برعت في غناء (الهجع) منذ عام ١٩٥٣ عندما سمعته في منطقة المشخاب، وهذا النوع من الغناء تشتهر به مناطق الفرات الأوسط من العراق، وهو غناء راقص يعتمد في أغلب الأحيان على آلة موسيقية واحدة هي الطبلة. من أغانيها المشهورة، «هذا الحلو كاتلني يعمه» و» شفته وبالعجل حبيته والله « والأغنيتان من ألحان الملحن محمد نوشي، ولها أغنية «يا الولد يا أبني « التي ذاع صيتها بسرعة مذهلة في البيوتات العراقية لخصوصيتها المحلية البحتة.

ابتعدت المطربة لميعة توفيق عن الغناء في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم بعد أن مرت بمرحلة قاسية صعبة عرفت بأغاني الهجع وهو وزن ريفي راقص اشتهرن به مطربات الغجر وسجل التلفزيون لها أغانيها.. وبقيت واقفة أمام المايكرفون تغني حتى انطفأت شمعتها في تسعينيات القرن العشرين تاركة العشرات الأغنيات ماتت لميعة توفيق عام ١٩٩٢ بسبب مرض عضال ودفنت في مقبرة الكرخ في بغداد. وتركت أرثاً كبيراً من أغانيها المسجلة في إذاعة بغداد.غنت لميعة أطواراً من «الأبوذية» و«السويحلي» و«الهجع» و«النايل» وهو فن عراقي يتصف بالحنين والعواطف الجياشة حيث أبدعت فيه هذه الفنانة الكبيرة، ومن أغانيها الشهيرة:

- شفته وبالعجل حبيته والله
- نيشان الخطوبة
- هذا الحلو كاتلني ياعمة
- يلماشية بليل إلهلج
- يمة إهنا يمة
- جينا نشوفكم
- العايل ما إله حوبه
- يا يمه انطيني الدربيل

بعد ان اذيعت اغنية لا خبر في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي واخذت شهرتها بصوت الفنان فاضل عواد وهي بالاصل قصيدة للشاعر طارق ياسين لحن بعض مقاطعها الملحن والمطرب الراحل حسين السعدي. قام احد اصحاب الاسطونات في الكويت وهو محمد الشايب بالاتفاق مع مطرب الاغنية لغرض طبعها على اسطوانة يوزعها في الكويت والخليج.

ارسل الشايب (العتيب) الى قبرص لغرض نقل الاغنية على اسطوانة وجعل غلافها من الورق الصقيل، الوجه الاول يتزين بصورة المطرب المبدع فاضل عواد والوجه الاخر خط كلمات الاغنية وهو فرح ومطمئن لنجاح مشروعه وذلك بسبب عدم انتشار اجهزة الكاسيت.

وكانت الاسطوانه هي سيدة السوق وقد ظهر في ذلك الوقت (كرامفون) للسيارات كانت فرحة محمد الشايب لا توصف وهو يحدثنا ويصف لنا جمال تصميم غلاف الاسطوانة وكنا انا و الفنان عبدالواحد جمعة رحمه الله نستمع اليه وذلك في مكتبه الواقع في عمارة جوهرة الخليج في ساحة الصفاة في الكويت.

وكان الفنان عبدالواحد جمعة يستمع بجد ويضحك في سره وعندما نزلنا الى الشارع العام قال لي عبدالواحد: مسكين محمد قلت لماذا قال سترى بعد يومين سوف تخيب كل احلامه قلت: لم افهم شيء! اجابني انتظر غدا او بعد غد ولم يهدأ لي بال فاخذت الح عليه حتى وصلنا مكتب ابو زيد فون وهو اشهر مكتب لتسجيل الاسطونات سواء في الكويت او الخليج واسمه (محمد الصكعبي) وهو رجل ضرير ولكن متذوق للفن وعقلية تجارية وهو وكيل لعدد من منتجبي الاسطونات في القاهرة او بيروت اضافة الى فروعه في بعض امارات الخليج. فقال له يا ابو طالب وهي كنية المطرب عبدالواحد غدا سوف نخرج البضاعة من الكمارك. وبعد حساب وجمع وطرح قال ابو زيد لقد اصبحت كلفة الاسطوانة الواحد ٩٦ فلسا وهنا اخذ يضحك عبدالواحد جمعة وقال: غدا محمد الشايب يصيبه الغم والحزن. وبعد خروجنا قص لي الحكاية فقال الم تعلم بان مجيئي الى الكويت قبل يومين هو من لبنان قلت نعم قال الم يخطر ببالك ماذا افعل في لبنان في هذا البرد القارص قلت له اكيد لمتابعة اعمال ابو زيد فضحك وقال قبل اسبوع وعندما كنت في بغداد سجلت اغنية (لا خبر) بصوت لميعة توفيق في استوديو جميل بشير وبعد ذلك حجزت الى لبنان ومعي الشريط وتم تفريغه على اسطوانه ويوم غد سوف تنزل الى السوق بصوت لميعة قبل ان تصل بضاعة محمد الشايب بصوت مطربها الاصلي فاضل عواد.

وهنا استغربت من هذه الحكاية وما صادف بها من مفارقات لا مجال هنا لذكرها وفي ظهر اليوم الثاني وصلت الصناديق الى مخزن (محمد الصكعبي ابو زيد فون) وعلت مكبرات الصوت تصدح باغنية لا خبر بصوت لميعة توفيق فكان الاقبال عليها شديدا من قبل الجماهير التي أحبت هذه الاغنية او من اصحاب بيع الاسطوانات في جميع انحاء الكويت وقد بيعت الاسطوانة الواحدة بسعر الجملة بمبلغ (دينار وربع كويتي) وكانت كلفتها واصله الى مخازن ابو زيد (٩٦ فلسا وهكذا افشل ابو زيد وعبدالواحد جمعة مشروع محمد الشايب الذي كان يحلم به وبعد وصول بضاعته بشهر من توزيع الاغنية بصوت لميعة كان الاقبال عليها ضعيفا وصح المثل القائل (التجارة شطارة)!

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون